من البلاغة النبوية

في أحاديث حقوق خير البرية

إعداد

د / اعتماد السيد عبد الفتاح شاهين

مدرس البلاغة والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

فرع جامعة الأزهر بالأسكندرية

١٤٤٣هـ = ٢٠٢١م

من البلاغة النبوية في أحاديث حقوقه خير البرية

اعتمار السيد عبد الفتاح شاهين
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر الشريف، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني:
eetmadshheen_islam.alx@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

خص الله النبي ـ ﷺ ـ بمناقب ومحاسن كثيرة، وأوجب له حقوقًا لابد من أدائها، ومن الملاحظ اليوم أن كثيرًا من أبناء الإسلام قد انشغلوا بأشياء كثيرة في واقعهم، جعلتهم ينحرفون عن محاولة معرفة حقوق النبي ـ ﷺ ـ ؛ لذلك كان الهدف التعريف بحقوق النبي علينا و التي منها، حق الإيمان، وحق الطاعة، وحق المحبة، وحق التوقير والتعظيم والصلاة عليه، وجاءت أحاديث حقوق النبي ـ ﷺ ـ علىٰ لسان صاحبها، الذي أوتي جوامع الكلم؛ لذلك تجد فيها الكثير من الأساليب البلاغية الرائعة، والدقائق التعبيرية الرائقة، مما يجعل دراستها إثراءً للدرس البلاغي؛ لذلك اتبعت الدراسة المنهج التحليلي؛ للكشف عن الأساليب البلاغية، وتحليل النص النبوي وبيان جماله وأسراره وبثه في المجتمع؛ لتعريف الأمة بحقوق نبيها ـ ﷺ ـ عليها؛ فكانت هذه النتائج: جاءت هذه الحقوق في صياغة بلاغية تناسب بلاغة قائلها ـ ﷺ ـ فتجد أبلغ الأساليب التي من خلالها يفطن السامع إلىٰ أهمية الأمر؛ حيث يعبر النبي ـ ﷺ ـ بأسلوب التوشيع ليشوق المخاطبين

للوصول لحلاوة الإيمان التي تتحقق بمحبته ـ ﷺ ـ، كما كان للإيجاز بالحذف دورًا بارزًا في إظهار تلك الحقوق؛ لتعرف وتحفظ ويتم تطبيقها. واستعمل النبي ـ ﷺ ـ أسلوب القصر بأنواعه المختلفة، وكان طريق النفي والاستثناء هو أجدر الطرق؛ لإثبات تلك الحقوق، وحمل النفوس علىٰ الإقرار بها، ويستفهم النبي ـ ﷺ ـ بصيغة (ما بال) التي تعكس تعجبه وإنكاره علىٰ الذين تشددوا في الدين وتركوا الأخذ بالرخصة، كما كان الأسلوب القصصي، والحوار والسؤال، وجواب النبي ـ ﷺ ـ بالأسلوب الحكيم، الأساس في بيان ثواب محبته ـ ﷺ ـ، كما استخدم صورة المثل؛ ليوضح حرصه ـ ﷺ ـ علىٰ هداية قومه، وأتي بالتشبيه ليوضح كيفية الصلاة عليه. والاستعارة المكنية والتبعية؛ لبيان وجوب محبته ـ ﷺ ـ، واستعمل الكناية في تصوير سرعة نجاة الطائعين، وتصوير إعراض المكذبين، وبالمحسن البديعي المقابلة، والجمع مع التقسيم؛ بيَّن أقسام الناس في قبول دعوته ـ ﷺ ـ.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، النبوية، أحاديث، حقوق، خير البرية.

From the prophetic rhetoric in the hadiths of the rights of the best of the wilderness

Eatmad Elsayed AbdelFattah Shaheen
Department of Rhetoric and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies for Girls, Al-Azhar University, Alexandria, Arab Republic of Egypt..
Email: eetmadshheen_islam.alx@azhar.edu.eg

Abstract:

God singled out the Prophet - r - with many virtues and virtues, and enjoined on him rights that must be fulfilled. It is noticeable today that many of the sons of Islam have been preoccupied with many things in their reality that made them deviate from trying to know the rights of the Prophet He has many rights over us, including the right of faith, the right of obedience, the right of love, the right of reverence, veneration, and prayers upon him. Therefore, you find in it a lot of wonderful rhetorical methods, and expressive subtleties, which makes its study an enrichment of the rhetorical lesson; Therefore, the study followed the analytical method, To reveal the rhetorical methods, analyze the prophetic text, show its beauty and secrets, and spread it in society; So that the nation may know the rights of its Prophet ,These results were: These rights came in a rhetorical formulation that suits the eloquence of its saying – peace be upon him – so you find the most eloquent methods through which the listener realizes the importance of the matter, so he uses the method of spreading to long the addressees to reach the sweetness of faith that is achieved by his love, and the brevity and omission played a prominent

role in showing those rights; To know, memorize and be applied. He used the palace method of all kinds, and the path of denial and exception was the most worthy method To prove these rights and get souls to acknowledge them, the Prophet, peace and blessings be upon him, inquires into the formula (what is wrong), which reflects his admiration and denial of those who were strict in religion and left the application of the license, as the narrative style, dialogue, question and answer in the wise style was a key element in explaining the reward of the Prophet's love ﷺ Use the image of the proverb; To clarify his eagerness to guide his people, and the analogy in explaining how to pray for him. metaphor and subordination; To show the necessity of his love. The metonymy was used in depicting the speed of salvation of the obedient, and depicting the symptoms of the deniers.andinal-muhsi albadiy interview and the combination with the division,Explain the divisions of people in accepting his call, peace be upon him.

Keywords: rhetoric, prophethood, hadiths, rights, goodness of nature

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا بنبيه محمد ـ ﷺ ـ ووفقنا لاتباعه الذي جعله علمًا علىٰ محبته ومغفرته وسببًا لرحمته وهدايته فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ آل عمران: ٣١، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، الذي شرَّفنا ربنا برسالته الخاتمة، وشريعته الكاملة؛ فوجب حق الإيمان، وحق الطاعة، وحق المحبة، وحق التعظيم لذلكم الرسول الكريم.

أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالىٰ قد خص نبينا محمدًا ـ ﷺ ـ بمناقب ومحاسن كثيرة، تشريفًا وتكريمًا له ؛ مما يدل علىٰ جليل رتبته، وشرف منزلته عند ربه، وأوجب له حقوقًا لابد من أدائها؛ لأن الله بفضله ومنته أخرجنا به من الظلمات إلىٰ النور، وألف بين قلوبنا فأصبحنا بنعمته إخوانًا، وجعلنا به أمة واحدة شهداء علىٰ الناس، وقد أدرك أعداء الإسلام في قديم الزمان وحديثه، أن عظمة هذه الأمة بعظمة نبيها محمد ـ ﷺ ـ، وأن عزة هذه الأمة في تمسكها بسنة نبيها الغراء.

ومن الملاحظ اليوم أن كثيرًا من أبناء الإسلام قد انشغلوا بأشياء كثيرة في واقعهم، جعلتهم ينحرفون عن محاولة معرفة حقوق النبي ـ ﷺ ـ ؛فكثر الجهل بها، وفي المقابل ترىٰ أعداء الإسلام يتطاولون علىٰ سيد المرسلين ـ ﷺ ـ في حملات شرسة علىٰ الإسلام وثوابته ومقدساته، لذلك وجب علينا معرفة حقوق نبينا، فنعلم أنه رسول الله حقًا، وأنه خاتم النبيين صدقًا، وعلينا أن نؤمن به كما نؤمن بالله ـ عز وجل ـ، ونطيعه كما نطيع الله تعالىٰ، ونقدم

محبته علىٰ أنفسنا ووالدينا والناس أجمعين، وعلينا أن نوقره ونعظمه؛ وألا نقع في خطر الجفاء له والهجر لسنته، نتيجة للجهل بحقوقه ـ ﷺ ـ ؛ فيجب علينا معرفة حقوق النبي ـ ﷺ ـ علينا؛ لأنها دين علىٰ كل مسلم للنبي ـ ﷺ ـ.

والحديث النبوي الشريف نصٌ رفيعُ المستوىٰ، عظيمُ المحتوىٰ، يعد منطلقًا أصيلًا للدراسات البلاغية، ومعايشته فيها قربىٰ إلىٰ الله ـ عز وجل ـ ، ومدارسته عنوان محبة للرسول ـ ﷺ ـ ، ودراسته فيها غذاء للعقل والروح معًا، ومن ثم جاء البحث بعنوان: (**من البلاغة النبوية في أحاديث حقوق خير البرية**).

أهمية الموضوع تأتي من خلال أهمية ما تعلق به وهي أحاديث حقوق النبي ـ ﷺ ـ ومنها:

- التذكير بواجب المسلمين تجاه نبيهم ـ ﷺ ـ.
- الإسهام في التعريف بحقوق الرسول ـ ﷺ ـ.
- أن أحاديث حقوق النبي ـ ﷺ ـ جاءت علىٰ لسان صاحبها، الذي أوتي جوامع الكلم؛ لذلك تجد فيها الكثير من الأساليب البلاغية الرائعة، والدقائق التعبيرية الرائقة، مما يجعل دراستها إثراءً للدرس البلاغي.
- رغبتي وحبي في أن اكتب وابحث فيما صح إسناده عن النبي ـ ﷺ ـ، وإفراغ طاقتي في تجلية أسرار البلاغة النبوية، وإبراز جوانب العظمة فيها.

أما المنهج الذي سار عليه البحث، فهو المنهج التحليلي، الذي بواسطته يتم الكشف عن الأساليب البلاغية، وتحليل النص النبوي، وبيان جماله وأساليبه وأسراره، وإبراز هذا الجمال النبوي وتقريبه وبثه في المجتمع؛ لتعريف الأمة بحقوق نبيها ـ ﷺ ـ.

والأحاديث الواردة في حقوق النبي ـ ﷺ ـ علىٰ أمته كثيرة جدًا؛ لذلك اعتمدت علىٰ ما ورد في الصحيحين من أحاديث وأخذت منهما ما يقوم به هذا البحث علىٰ ساقه، ويكفي في بيان ملامح البلاغة النبوية، ويلقىٰ الضوء علىٰ جوانب العظمة فيها بلا إخلال في إبراز ملامحها، وتوضيح معالمها؛ فاكتفيت بتحليل ستة أحاديث متضمنة أربعة حقوق ـ حق الإيمان، حق الطاعة، حق المحبة، وحق التوقير والتعظيم والصلاة عليه ـ ﷺ ـ ؛خشية إطالة البحث طولاً يخرج به عن المعهود في أمثاله.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، وخاتمة ثم ثبت المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع، وخطة البحث.

وأماالتميد: فقد كان الحديث فيه عن المعنىٰ اللغوي للحقوق الأربعة.

أما المبحث الأول: فقد جاء بعنوان حق الإيمان بالنبي ـ ﷺ ـ.

المبحث الثاني: حق الطاعة للنبي والحذر من مخالفته ـ ﷺ ـ.

المبحث الثالث: حق المحبة للنبي ـ ﷺ ـ وثوابها.

المبحث الرابع: حق التوقير للنبي وتعظيمه والصلاة عليه ـ ﷺ ـ.

أما الخاتمة: فقد تناولت النتائج التي تم التوصل إليها. ثم ثبت المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

التمهيد:

المعنى اللغوي للحقوق الأربعة.

المعنى اللغوي لكلمة حقوق:

حقوق: جمع حق، وهو نقيض الباطل، وحَقَّ الأمر يَحِقُّ ويَحُقُّ حَقًّا وحُقوقًا صار حَقًّا وثبت، قال الأزهري: معناه وجَب يَجِب وجُوبًا، وحق عليه القول، وأحققته أنا. وفي التنزيل:﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ القصص:٦٣، أي ثبت، وحقه يحقه حقًا وأحقه كلاهما: أثبته وصار عنده حقًا لا يشك فيه، قال أبو إسحاق: الحق أمر النبي ـ ﷺ ـ وما أتى به من القرآن[1]، وفي المعجم الوجيز الحق: النصيب الواجب للفرد أو الجماعة، والجمع حقوق وحِقاق، وحقوق الله: ما يجب علينا له[2]، فلفظ (حق) يدل على أمر ثابت يجب الوفاء به وعلى كل فرد تأديته؛ فقد ارتبط معناه في الأذهان على أنه يراد به اللزوم والوجوب، كما أن الأشياء التي تكون على الإنسان واجبة الأداء يعبر عنها بالحق؛ لذلك كانت هذه اللفظة أنسب من غيرها في هذا المقام، لبيان حقوق النبي؛ لأنها دين له على كل إنسان فيجب أدائه، وقد أوجب ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ حقوقًا للنبي ـ ﷺ ـ لابد من أدائها؛ لأن في القيام بها طاعة لله ـ عز وجل ـ الذي أمرنا بالإيمان بالنبي، وطاعته، ومحبته، وتعظيمه ـ ﷺ ـ.

---

(١) لسان العرب لابن منظور طبعة دار المعارف، مادة حقق.

(٢) المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، مادة حقق.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : " فإن تعظيم الرسول ـ ﷺ ـ وإجلاله ومحبته وطاعته، تابع لتعظيم مرسله سبحانه وإجلاله وطاعته، فمحال أن تثبت المحبة والطاعة والتعظيم والإجلال للرسول ـ ﷺ ـ دون مرسله بل إنما يثبت ذلك له تبعًا لمحبة الله وتعظيمه وإجلاله؛ ولهذا كانت طاعة الرسول ـ ﷺ ـ طاعة لله[1].

الحق الأول: حق الإيمان بالنبي ـ ﷺ ـ

الإيمان: مصدر آمن يؤمن إيمانًا، فهو مؤمن. واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق. آمن بالشيء: صدَّق وحدَّ الزجَّاج الإيمان فقال: الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتىٰ به النبي ـ ﷺ ـ واعتقاده وتصديقه بالقلب. فمن كان علىٰ هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك، وهو الذي يرىٰ أن أداء الفرائض واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب، وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ الحجرات: ١٥، ما يبين أن المؤمن هو المتضمن لهذه الصفة، وأن من لم يتضمن هذه الصفة فليس بمؤمن؛ لأن (إنما) في كلام العرب تجيء لتثبيت شيء ونفي ما خالفه(٢)، فحق للنبي ـ ﷺ

(١) ابن القيم: الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم الجوزية، جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، تحقيق: رائد بن أحمد النشيري، ٤٧٠.

(٢) لسان العرب مادة أمن.

ـ الإيمان به والتصديق الجازم الذي لا شك فيه بأن رسالته ونبوته هي حق من عند الله ـ تعالىٰ ـ والعمل بمقتضىٰ ذلك، والتصديق بأن كل ما جاء به من الدين، وأن ما أخبر به عن الله ـ تعالىٰ ـ حق صحيح، ولابد من تصديق ذلك بالقلب واللسان، فلا يكفي الإيمان به باللسان، والقلب منكر لذلك.

فالإيمان بالنبي ـ ﷺ ـ، هو أول الحقوق الواجبة له، وقد جاءت آيات قرآنية كثيرة تثبت وجوب الإيمان بالرسول ـ ﷺ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨﴾ التغابن: ٨، ووردت أحاديث كثيرة تبين وجوب الإيمان بالرسول ـ ﷺ ـ منها: عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناسَ حتىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله"(١).

وسوف يتم تناول هذا الحديث بالتحليل البلاغي في المبحث الأول من البحث.

❁❁❁❁❁

الحق الثاني: حق الطاعة للنبي والحذر من مخالفته ـ ﷺ ـ.

الطاعة: اسم من أطاعَهُ طاعةً، والطواعية اسم لما يكون مصدرًا لطاوعه قال ابن سيده: وطاع يطاع وأطاع. لان وانقاد، وأطاعه إطاعة وانطاع له

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، (ط الأولىٰ طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ت: زهير بن ناصر الناصر) ك الإيمان، ب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتو الزكاة فخلو سبيلهم(١/ ١٤) ح رقم ٢٥ بإسناده عن ابن عمر، ومسلم في صحيحه (ت : محمد فؤاد عبد الباقي، ط : أولىٰ. دار إحياء التراث العربي) ك: الإيمان، ب: الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله (١/ ٥٣) ح رقم ٢٢ بإسناده عن ابن عمر مطولًا.

كذلك، وفي التهذيب وقد طاع له يطوع إذا انقاد له(١)، وفي المعجم الوسيط: "الطاعة: الانقياد والموافقة، وقيل: لا تكون إلا عن أمر" والطاعة تعني موافقة الآمر طوعًا(٢)، وأقر طائعًا، وفعل ذلك طوعًا وطواعية، وهو لي طائع وطَيِّع، وهو يطوعُ لي وطاوعته علىٰ كذا وأطاع الله طاعة، فالطاعة هي الانقياد وعدم المعصية والمخالفة لأمر الآمر.

وهي بهذا المعنىٰ حق من حقوق الرسول ـ ﷺ ـ ومن الفروض الواجبة علىٰ المكلف نحو رسول الله ـ ﷺ ـ فقد أمر الله عباده بطاعة نبيه ـ ﷺ ـ وقد جاءت آيات قرآنية كثيرة تثبت وجوب طاعة الرسول ـ ﷺ ـ فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠﴾ الأنفال: ٢٠، أي أطيعوا الله واعملوا بكتابه، وأطيعوا الرسول لأنه يُبَيِّن للناس ما أنزل إليهم، فقد جرت سنة الله بأن يبلغ عنه شرعه للناس، رسل منهم تكفل بعصمتهم، وأوجب علينا طاعتهم. ووردت أحاديث كثيرة تبين وجوب طاعة الرسول ـ ﷺ ـ منها: عن أبي موسىٰ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: "إن مَثَلي وَمَثَلُ ما بعثني اللهُ به كمَثل رَجل أتىٰ قومًا فقال: يا قوم! إني رأَيتُ الجَيْشَ بعَيْنَيَّ، وإني أَنا النَّذِيرُ العُرْيان، فالنَّجاءَ؛ فأطاعَه طائفةٌ من قومه، فأَدْلَجُوا، فانطلقوا علىٰ مَهَلِهم فَنَجَوْا؛ وكذَّبَتْ طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيشُ فأهلكهم واجْتَاحَهُم؛ فذلك مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، واتَّبَعَ ما جِئْتُ به، وَمَثَلُ مَنْ عَصَاني وكذَّب ما جئتُ به من الحق"(٣).

---

(١) لسان العرب، مادة طوع.

(٢) أساس البلاغة تأليف جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري تقديم أ.د.محمود فهمي حجازي الهيئة العامة لقصور الثقافة الجزء الثاني. مادة ط و ع.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، ك الفضائل، ب: شفقته ـ ﷺ ـ علىٰ أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (٤/ ١٧٨٨) ح رقم ٢٢٨٣ بإسناده عن أبي موسىٰ.

حذر الله عز وجل من مخالفة رسوله ـ ﷺ ـ ، والخروج عن أمره ومعصيته، وأمر بالأخذ بكل ما صح عنه وثبت نسبته إليه؛ فهو ـ ﷺ ـ أعلم الناس بربه وأخشاهم وأتقاهم له، فيجب التمسك بما جاء به الرسول واتباع ذلك بلا تردد ولا شك؛ لأنه ـ ﷺ ـ لا ينطق عن الهوىٰ، وإنما يعلمه ربه ـ عز وجل ـ قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ النور: ٦٣، ووردت أحاديث تحذر من مخالفته ـ ﷺ ـ فعن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: " صنع النبي ـ ﷺ ـ شيئًا ترخص فيه، وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ـ ﷺ ـ فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: " ما بالُ قوم يتنزَّهون عن الشيء أَصنَعُه؟ فو الله! إنِّي لأعلمهم بالله، وأشدُّهم له خَشْيَةً "[1].

وسوف يتم تناول هذين الحديثين بالتحليل البلاغي في المبحث الثاني من البحث.

❁❁❁❁❁

الحق الثالث: حق المحبة للنبي – ﷺ– وثوابها.

المحبة: اسم للحب وتحبب إليه تودد، والحب هو الوداد، والحِب بالكسر الحبيب وكان زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ حِب رسول الله[2]، يقال حببت فلان بمعنىٰ أصبت حبة قلبه، وأحببت فلانًا جعلت قلبي معرضًا لحبه[3].وحبب أَحْبَبْتُه، وهو حبيب إليَّ وأحبب إليَّ بفلان. وحبب الله إليه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ك الأدب، ب: من لم يواجه الناس بالعتاب (٨/ ٢٦) ح رقم ٦١٠١ بإسناده عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب علمه ـ ﷺ ـ بالله تعالىٰ وشدة خشيته. ح رقم: ١٢٧؛١٢٨/ ٢٣٥٦.

(٢) لسان العرب مادة حبب.

(٣) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني مادة (أحب) .

الإيمان وحبه إليَّ إحسانُه. وهو يتحبب إلىٰ الناس، وهو مُحَبَّبٌ إليهم[1]، والمحبة: إرادة ما تراه خيرًا، أو تظنه خيرًا قال القاضي عياض المحبة هي ميل الإنسان إلىٰ ما يوافقه [2]، وقال ابن تيمية: أصل الحب قوة في القلب تحرك إرادة الإنسان لتحصيل المحبوبات أصلًا ودفع المكروهات تبعًا، فتميل النفس إلىٰ الشيء إن كان محبوبًا وتنفر عنه إن كان مكروهًا [3].

وهي حق من حقوقه النبي ـ ﷺ ـ علىٰ أمته، وواجب عليهم، فنبينا أولىٰ بنا من أنفسنا ووالدينا، وأرحم بنا وأشفق من جميع الخلق، ولم يصل إلينا من الهدىٰ والعلم والخير شيء إلا علىٰ يديه، فهو الذي وجدنا ضالين فهدانا الله به، وأشقياء فاستنقذنا الله به، ووجدنا موجهين وجوهنا إلىٰ كل شر وعصيان وكفر، فوجهنا الله به إلىٰ كل خير وطاعة وإيمان، ما علم من خير إلا دلنا عليه ولا شر إلا حذرنا منه؛ لذلك أوجب الله محبة نبيه في كتابه فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ التوبة: ٢٤. فينتفي الإيمان بعدم

(١) أساس البلاغة مادة ح ب ب.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم . تأليف العلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسىٰ اليحصبي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه علىٰ كوشك الطبعة الأولىٰ جائزة دبي الدولية طبعة١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م ٢/ ٢٩.

(٣) مجمع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ١٣٩٨هـ، ١٠/ ١٩٢

محبة النبي ـ ﷺ ـ ، ووردت أحاديث كثيرة تبين وجوب محبته ـ ﷺ ـ منها: عن أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: " ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَد حلاوةَ الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأَنْ يحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا للهِ، وأن يكرهَ أَنْ يَعُودَ في الكفر، كما يكرهُ أن يُقذَفَ في النار"(١)، فمحبة النبي ـ ﷺ ـ هي طريق لدخول الجنة، وهي سبب لفوز المحب بالثواب العظيم ومعية رسول الله ـ ﷺ ـ ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلًا أتىٰ النبي ـ ﷺ ـ فقال: متىٰ الساعة؟ يا رسولَ الله! قال: " ما أَعْدَدْتَ لها؟ "قال: ما أعددتُ لها من كثير صلاةٍ ولا صَوْمٍ ولا صدقة، ولكنِّي أُحبُّ اللهَ ورسولَه. قال: " أَنْتَ مع مَنْ أحبَبْتَ" (٢).

وسوف يتم تناول هذين الحديثين بالتحليل البلاغي في المبحث الثالث من البحث.

❁❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الإيمان ب: حلاوة الإيمان،(١/ ١٢) ح رقم ١٦، بإسناده عن أنس بن مالك. وأخرجه مسلم في صحيحه، ك: الإيمان، ب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١/ ٦٦) ح رقم ٤٣، وذكر الحديث بإسناده عن أنس.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، ب: المرء مع من أحب (٤/ ٢٠٣٢)، ح رقم ٢٦٣٩. وأخرجه البخاري في صحيحه ك: أصحاب النبي، ب: مناقب عمر بن الخطاب (٥/ ١٢)، ح رقم ٣٦٨٨ بإسناده عن أنس، مطوَّلً.

الحق الرابع: حق التوقير للنبي وتعظيمه والصلاة عليه ـ ﷺ ـ

التَّوْقِير: التعظيم، ووقرت الرجل إذا عظمته، ووَقَّرَ الرجل: بَجَّلَهُ، والوقارُ السكينة والوداعة ورجل وَقُورٌ وَوَقارٌ وَمُتَوَقِّرُ: ذو حِلْمٍ وَرَزانَةٍ(١)، وصلاة الله علىٰ رسوله: رحمته له وحسن ثنائه عليه.

الصلاة: أصلها في اللغة التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب وتقديسه؛ فاللهم صلىٰ علىٰ محمد معناه: عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته، وقيل المعنىٰ لما أمرنا الله سبحانه وتعالىٰ بالصلاة عليه، ولم نبلغ قدر الواجب من ذلك أحلناه علىٰ الله، وقلنا: اللهم صل أنت علىٰ محمد؛ لأنك أعلم بما يليق به، وهذا الدعاء خاص له ولا يقال لغيره(٢).

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾.الفتح: ٨ ـ ٩، وخير تعظيم لرسول الله تعظيم سنته. بالصلاة والسلام عليه: لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ الأحزاب: ٥٦، والصلاة من الله: ثناؤه علىٰ أنبيائه، والصلاة من الملائكة: الاستغفار، ومن الناس: الدعاء والتعظيم والتكريم. والصلاة عليه من أعظم الذكر. فيجب توقيره ـ ﷺ ـ وإجلاله وتعظيمه، ولا يقتصر الإنسان

(١) اللسان مادة وقر.

(٢) لسان العرب مادة صلا.

علىٰ الصلاة أو التسليم بل يجمع بينهما، فلا يقول: صلىٰ الله عليه فقط، ولا عليه السلام فقط، بل لابد أن يجمع بين الصلاة والسلام عليه. حيث قال الصحابة فيما جاء في الصحيح" يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال فقولوا: اللهم! صَلِّ عَلَىٰ مُحمدٍ وآل محمد كما صليتَ عَلَىٰ إبراهيم وبارك عَلَىٰ مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ كما باركت علىٰ إبراهيم إنك حميد مجيد"[1]

وسوف يتم تناول هذا الحديث بالتحليل البلاغي في المبحث الرابع من هذا البحث.

❁❁❁❁❁

(١) صحيح البخاري ١٦/ ١١٨ حديث رقم ٦٣٥٧، وصحيح مسلم ٢/ ١٦، حديث رقم ٩٣٥.

المبحث الأول: حق الإيمان بالنبي ـ ﷺ ـ.

الإيمان بالنبي ـ ﷺ ـ حق من حقوقه وركن من أركان الإسلام؛ فقد أرسله الله للبشر لإرشادهم لمصالحهم الحقيقية، وإعانتهم علىٰ شؤون الحياة، والاعتراف بوحدانية الله، والإيمان بمحمد ـ ﷺ ـ أساس الاعتراف بالحقائق، ومبدأ الهداية الحقة.

فالإيمان بالرسول ـ ﷺ ـ هو الميزان الذي يقدر به قدر الرجال، وموقعهم من الرسول ـ ﷺ ـ ورسالته؛ لذا تجد أبا بكر الصديق ـ رضي الله ـ عنه قد حاز المرتبة الرفيعة، بسبب إيمانه الذي لا تزحزحه الأحداث مهما كان قدرها ومصيرها.

قال الإمام الشافعي رحمه الله" وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه، الموضع الذي أبان جل ثناؤه أنه جعله علمًا لدينه؛ حيث جعل الله كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له: الإيمان بالله، ثم برسوله فلو آمن عبدٌ به ولم يؤمن برسوله، لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبدًا حتىٰ يؤمن برسوله معه"(١).

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: " **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناسَ حتى يَشْهَدُوا أَنْ لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله**"(٢)

في هذا الحديث الشريف يوضح لنا الرسول أول حق من حقوقه ـ ﷺ ـ وهو الإيمان به ـ ﷺ ـ و تصديق نبوته ورسالة الله له، وتصديقه في جميع ما

---

(١) الرسالة للإمام المُطَّلبِي محمد بن ادريس الشافعي ت ١٥٠ – ٢٠٤هـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان فقرة ٢٣٦. فقرة ٢٣٩ – ٢٤٠ ص، ٧٣، ٧٥ بتصرف.

(٢) سبق تخريجه في التمهيد.

جاء به وما قاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله؛ فإذا اجتمع التصديق به بالقلب، والنطق بالشهادة بذلك باللسان تحقق الإيمان به[1] - ﷺ -، فلا إيمان إلا بالتصديق والإيمان بالرسول - ﷺ - والدليل علىٰ أن الإسلام لا يصح حتىٰ يؤمن بالرسول حديث جبريل، إذ قال: أخبرني عن الإسلام ؟ فقال النبي - ﷺ - " أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله" [2].

افتتح الرسول - ﷺ - الحديث الشريف ببلاغة الإيجاز، فتجد أن النبي - ﷺ - حذف المسند إليه من قوله « **أُمرت**»، والتقدير (أمرني الله)، وإنما حذف الفاعل لشهرته وتعينه بهذا الفعل، فحذف المسند إليه هنا للعلم به؛ لأنه من المعلوم قطعًا أن الذي يأمر النبي هو الله - عز وجل - .

وفائدة العدول عن التصريح بالفاعل دعوىٰ اليقين، والتعويل علىٰ شهادة العقل؛ لأنه يحكم بأن الله - تعالىٰ - هو الآمر لنبيه - ﷺ - فلا أحد يأمره سوىٰ الله، ولا يُحتاج للتصريح باسمه - عز وجل -؛ إذ لا يذهب الوهم إلىٰ غيره، وإذا علم المخاطب أن الآمر هو الله بعثه ذلك علىٰ تعظيم الأمر وامتثاله.

وقوله: «**أن أقاتل**» أي بأن أقاتل[3]، يتكون من الحرف المصدري (أن)والفعل الدال علىٰ المفاعلة والمشاركة(أقاتل)، وبالنظر لدلالة التعبير

---

(١) الشفا في التعريف بحقوق المصطفىٰ ٤٧٣

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ك الإيمان، ب معرفة الإيمان والإسلام والقدر (١/ ٣٦) ح رقم ٨ بإسناده عن ابن عمر بن الخطاب، وذكر الحديث مطولًا.

(٣) صفوة صحيح البخاري للشيخ عبد الجليل عيسىٰ، تقديم أ. د جلال الدين إسماعيل عجوة، دراسة وتحقيق د. علىٰ عبد العظيم علىٰ، والشيخ صلاح عبد الفتاح محمد، إشراف أ.د عباس شومان. الأزهر الشريف هيئة كبار العلماء ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م. ١/ ٥٦٠ .

بهذه بكلمة والتي تعني رد ومقاومة العدوان؛ يتبين أنها وردت علىٰ وزن(أفاعل) من المفاعلة، التي تدل علىٰ مشاركة في الفعل بين طرفين: أحدهما، المبدوء بالقتال ويُسمىٰ (مُقَاتِلًا) لدىٰ نهوضه للمقاومة والدفاع، والآخر البادئ بالعدوان، وفي هذه الحالة يُسمَّىٰ (قاتلًا)، وعلىٰ هذا فهناك فرق كبير في المعنىٰ بين التعبير بكلمة "أقاتل" التي تشير إلىٰ الدفاع والمقاومة ردًّا للعدوان، وبين لفظة (أقتل)، التي تعني البدء بالعدوان والمبادرة بالهجوم بقصد القتل؛ لذلك عَدَلَ البيان النبوي الشريف عن التعبير بها، وقد نبَّه علىٰ هذا المعنىٰ اللغوي الدقيق بين اللفظين، العلامة بدر الدين العيني في عمدة القارئ فقال: "المأمور به هو الْقِتَال، ولا يلزم من إباحة الْقِتَال إباحة الْقَتْل؛ لأن باب المفاعلة يستلزم وقوع الفعل من الجانبين، ولا كذلك الْقَتْل فافهم"(١)، والدليل علىٰ ذلك ما جاء في البَيانِ القرآني الحكيم، حيث عَبَّر بكلمة ﴿ وَقَٰتِلُواْ ﴾، التي لا يأتي التعبير بها إلا في حالة وجود عدوان ينبغي دفعه ومقاومته، وهو المُشَار إليه في قوله تعالىٰ: ﴿ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾؛ كما جاء في قول الله عز وجل: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة: ١٩٠؛ ليدل ذلك علىٰ أن الأمر للمسلمين بالقتال جاء مشروطًا بعدوان المشركين من أهل القتال، وجاء الأمر بالنهي عن الاعتداء؛ ليدل علىٰ أن قتال من لم يُقَاتِلْنا عدوانٌ ومجاوزة

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للشيخ الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، عنيت بنشره وتصحيح والتعليق عليه شركة من العلماء بمساعدة إدارة المطابع المنيرية ١/ ١٨١.

للحد، فلم تعرف أمة قوية أرحم في فتوحاتهم بالضعفاء من الأمة العربية، وقد شهد لها بذلك علماء الإفرنج أنفسهم [1].

فهناك فرق بين القتال والمقاتلة، فإنه لم يقل: "أمرت أن أقتل الناس" لا، بل قال" أمرت أن أقاتل" والمقصود من المقاتلة: الإذعان، والمقصود من القتل: الإبادة ولقد تجلت دقة التعبير والتناسق بين الألفاظ في البَيانِ النبوي الحكيم حين عَبَّر بكلمة"أقاتل"، وهو فعل متعدي والفعل المتعدي إذا ذكر أفاد أن هناك مفعولًا به، فإذا ذكر مفعول مخصوص يكون لتربية الفائدة، أي تكثيرها وتقرير المعنىٰ وتأكيده " فكلما زدت قيدًا ازدادت الفائدة وهذا المفعول لم يرد عبثًا، وإنما المقام اقتضىٰ ذكره"[2] فالمخاطب بقوله: « أمرت أن أقاتل » يعلم أن لهذا الفعل مفعولًا، لكنه لا يستطيع تحديده علىٰ وجه الخصوص، فهو لا يدري أيكون المفعول اليهود أو قريشًا أو المنافقين، فلما قال: " **الناس** "، حصلت الفائدة ففي ذكر المفعول لون من الإثارة والتشويق لمعرفة من أُمِر بقتلهم، فلما ذكر المفعول (الناس)، مرادًا به أناس مخصوصين وهم المشركين تحققت الفائدة وثبتت المعرفة، ومما يدل علىٰ أهمية التقييد بهذا المفعول أن ما بعده من ألفاظ الحديث مرتبط به ارتباطًا وثيقًا، فالضمير في قوله: (يشهدوا)، يرجع إلىٰ المفعول به الذي هو (الناس)، فإذا ما انتقلت إلىٰ معنىٰ كلمة «النَّاسَ» التي وردت في الحديث النبوي

(١) صفوة صحيح البخاري ١/ ٥٦٥ .

(٢) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني تأليف د بسيوني عبد الفتاح بسيوني ط الأولىٰ ١٤٠٨هـ،١٩٨٧م. ١/ ٢٢٨ بتصرف.

الشريف، تجد أن لغة القرآن الكريم والتي جاءت علىٰ أصلِ وَمعهودِ كلام العرب، وأساليبهم البيانيَّة والبلاغيَّة، تطلق كلمة "الناس"، وتُعبِّر بها عن بعض الناس قَلَّ عددهم أو كثُر، وقد تُعَبِّر بها عن واحد منهم فقط؛ من ذلك قول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ آل عمران: ١٧٣. قال الإمام البيضاوي: "﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾، يعني: الرَّكب الذين استقبلوهم من عبد قيس، أو نعيم بن مسعود الأشجعي؛ وأطلق عليه الناس لأنه من جنسهم، كما يقال: فلان يركب الخيل، وما لَه إلا فرس واحد. ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾، يعني أبا سفيان وأصحابه" [(١)]، وعلىٰ هذا الأساس تأتي كلمة «النَّاس» الواردة في الحديث النبوي الشريف من قبيل العام الذي أُريد به الخاص، حيث بينت السنة النبوية المطهرة ذاتها المقصود بالناس في هذا الحديث، وأكدت أنهم هم المشركون دون غيرهم، وذلك في الرواية الصحيحة التي أخرجها الإمام النسائي في سننه، كتاب (تحريم الدم)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عنِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ أنه قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»؛ فكلمة المشركين هنا مفسرة لكلمة «النَّاس». وبذلك تكون الألف

---

(١) تفسير البيضاوي المسمىٰ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي حققه د. محمد عبد الرحمن المرعشلي، الشيخ محمد محي الدين الأصفر، ط. دار إحياء التراث العربي ٢/ ٤٩.

واللام في كلمة "الناس" للعهد وليس للجنس؛ حيث تشير إلىٰ ناس معهودين مخصوصين هم مشركو مكة، ولا تشير إلىٰ مطلق جنس الناس، وهذا التعريف يفيد توكيد اللفظ وتقريره وإيضاحه للسامع؛ لأنه لما جعل معهودًا دل علىٰ أنه واضح وظاهر، والمراد بالناس المشركين هنا ليس مطلق المشركين، وإنما صنف منهم لهم صفات مخصوصة أوجبت قتالهم، هي: المحاربة والعدوان والمعاندة، ومنع الدعوة إلىٰ الإسلام، فهم قوم معتدون محاربون ناكثون للعهود، حاربوا النبي ـ ﷺ ـ تسعة أعوام في المدينة، وغزوه في عقر داره مرتين، يريدون استئصاله وأصحابه، وكما وصفهم الله عز وجل: ﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ﴾التوبة: ١٠.

وقوله ـ ﷺ ـ: «**حتى يشهدوا**» غاية زمانية لقوله: " أمرت أن أقاتل" أي ينتهي زمن قتالهم بشهادتهم شهادة التوحيد، وفي هذا تفخيم وتعظيم للإسلام الذي يبذل من أجله النفوس. فيلاحظ أن استخدام (حتىٰ)، التي تفيد انتهاء الغاية، قد حقق التماسك والترابط بين أجزاء الجمل؛ ذلك أن سياق الحديث يجعل النطق بالشهادة غاية لابد من الوصول إليها، فالقتال مقدمة والنطق بالشهادة غاية، ولقد تم الربط بين المقدمة والغاية بـ(حتىٰ)؛ لتفيد تماسكًا بين جملتين إحداهما تؤدي إلىٰ الأخرىٰ؛ ولتجعل قتال هؤلاء الناس ينتهي حين ينطقون بالشهادتين ويصلون للغاية المطلوبة.

«**يشهدوا أن لا إله إلا الله**»، أي يتلفظوا وينطقوا بهذه الكلمة، فينفوا جميع ما يعبد من دون الله، ويثبتوا العبادة لله وحده ـ جل وعلا ـ وأن يعتقدوا اعتقادًا جازمًا بأنه لا معبود بحق إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد؛ فلابد

من الاعتراف والإقرار بوحدانية الله ـ عز وجل ـ لأن معنىٰ يشهدوا: يقروا ويعترفوا قال ابن فارس:" الشين والهاء والدال: أصل واحد يدل علىٰ حضور علم وإعلام" (١)، والشهادة كما هي في معاجم اللغة خبر قاطع، وأشهد بكذا أي أحلف" (٢)، فهذا الفعل يأتي في اللغة بمعانٍ ثلاثة:

الأول: أرىٰ وأشاهد، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ المطففين: ٢١.

الثاني: الشهادة، وهي القول بما تعلم ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ الطلاق: ٢.

والثالث: الحلف، ومنه الحديث: «علىٰ مثل الشمس فاشهد أو ذر»(٣).

فيكون معنىٰ «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله»، أنني شاهدت بقلبي، وشهدت بلساني، وأيقنت يقين الحالف أن لا إله إلا الله، وتلحظ أن النبي ـ ﷺ ـ عبر بالفعل المضارع (يشهدوا) ؛لإفادة التجدد والحدوث، كما أن هذا الفعل أفاد استحضار صورة هذه الشهادة، استحضارًا متجددًا علىٰ

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق. عبد السلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، مادة شهد .

(٢) لسان العرب مادة شهد.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٣٤٩) بإسناده عن ابن عباس قال: سئل النبي ـ ﷺ ـ عن الشهادة فقال: هل ترىٰ الشمس قال نعم، قال علىٰ مثلها فاشهد أو دع. الجامع لشعب الإيمان. تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٣٨٤هـ – ٤٥٨هـ أشرف علىٰ تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد النروي، الناشر مكتبة الرشد.

طول الزمن، لأن هذه الشهادة هي أعز علىٰ الإنسان من نفسه وروحه، وكل ما يملك في هذه الدنيا.

ففي قوله: يشهدوا أن لا إله إلا الله، إقرار وإعلام بأن المستحق للعبادة بحق هو الله وحده، فعبر بأسلوب القصر؛ لأن المشركين كانوا يعتقدون أن آلهتهم التي يشركونها مع الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أو يعبدونها من دونه، تحميهم وتنصرهم وتجيرهم وتقضي حاجاتهم؛ ولذلك عبدوها دون أن ينكروا وجود الله ـ عز وجل ـ أو ينكروا أنه الخالق والرازق، فلم يكن نزاع النبي ـ ﷺ ـ معهم حول وجود الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وربوبيته، وإنما كان حول التسليم بالألوهية لله وحده؛ لذلك قصر الرسول ـ ﷺ ـ صفة الألوهية علىٰ الله لا تتعداه إلىٰ غيره، قصر صفة علىٰ موصوف، قصر إفراد حقيقي تحقيقي؛ لأن هذا هو المطابق للواقع وحقيقة الأمر.

فالله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ هو الإله الواحد الحق الذي ليس له شريك في ملكه، ولا ند له في ألوهيته، فهو مختص بالألوهية دون سواه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ؛ فأراد النبي ـ ﷺ ـ أن يفرد لهم المخصوص بالعبادة وهو الله ـ عز وجل ـ فلا يصح أن يجمع معه غيره، ولكي يفيد التوكيد والتقرير استعمل أسلوب القصر؛ لتتضمن جملة القصر في طياتها جملتين إحداهما مثبتة والأخرىٰ منفية وما تفيده أيضًا من الإيجاز والتركيز والاختصار، وهذا الأسلوب له أكبر الأثر في تثبيت هذه الحقيقة، وتأكيدها في قلوب كل المخاطبين بها إلىٰ يوم القيامة، كما أن هذا الأسلوب هو المناسب للرد علىٰ كل جاحد لألوهية الله ومنكر

لها، لأنه أسلوب حاسم قاطع لكل تردد أو إنكار يبديه الكفرة لهذه الحقيقة، التي قام عليها أمر الدنيا والآخرة.

" فقصر الألوهية علىٰ الله في مثل هذا منظور فيه إلىٰ حال المخاطب، لأنه كلام موجه إلىٰ من يرفض هذه الحقيقة ويجادل فيها ويناهض بالحجة والدليل "[1]، (لا إله إلا الله)، هذه الجملة هي دليل التوحيد، وعنوان الإيمان، وهي الحقيقة الكبرىٰ التي نادت بها كل الشرائع، وبعث بها كل الأنبياء. فما خلق الكون إلا لها، وما قامت السماوات والأرض إلا بها، وما فاز من فاز إلا بتحقيقها، وما خسر من خسر إلا بجحدها وإنكارها؛ لذلك كانت هي أولىٰ المعاني، وأجدرها بأن تصاغ صياغة تقتلع الشك من القلوب، وتستأصل الإنكار من النفوس، وتحمل علىٰ الإذعان لها، والإقرار بها. وليس هناك أفخم ولا أقوىٰ من طريق النفي والاستثناء في اقتلاع هذا الشك، وقطع دابر هذا الإنكار. ولعل هذا هو السر في اختيار القصر بطريق النفي والاستثناء.

"**وأن محمدًا رسول الله**" وصل هذه الجملة بالتي قبلها للتوسط بين الكمالين. حيث اتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنىٰ، أي ويشهدوا بأن محمدًا رسول الله، حذف النبي ـ ﷺ ـ المسند من قوله (وأن محمدًا رسول الله) والأصل ويشهدوا أن محمدًا رسول الله، وحذفه النبي ـ ﷺ ـ لدلالة قوله

(١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د محمد أبو موسىٰ، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م. ١٠٧.

(يشهدوا أن لا إله إلا الله)، عليه والسر في حذف المسند هو تعظيم الشهادة بأن محمدًا ـ ﷺ ـ رسول الله، وبيان أهميتها في إسلام الفرد، وصحة إيمانه حتىٰ يكون معصوم الدم، فلا يصح إسلامه إلا بها، ولا يتم إيمانه إلا باعتقادها، فهذا الحذف أفاد أن الشهادة بالألوهية، والشهادة بأن محمدًا رسول الله، إنما هي شهادة واحدة، وهذا فيه من التعظيم لشأن محمد ـ ﷺ ـ ما فيه، وكذلك التعظيم للشهادة برسالته ـ ﷺ ـ وبيان أهميتها، كما أن في هذا الحذف أقوىٰ رد علىٰ اليهود والنصارىٰ الذين يشهدون بألوهية الله، ولا يشهدون برسالة محمد ـ ﷺ ـ فهذا الحذف أفاد أن إيمانهم بالله وشهادتهم له بالألوهية لا تنفعهم، ما داموا لا يؤمنون برسالة محمد ـ ﷺ ـ فالشهادة بألوهية الله، والشهادة برسالة محمد ـ ﷺ ـ إنما هما شيئان متلازمان لا يتصور أحدهما دون الآخر. وهذا من باب تداعي المعاني لارتباطها ببعضها في الذهن؛ لذلك كان النبي ـ ﷺ ـ يكتفىٰ في بعض أحاديثه بالشهادة بالألوهية دون الشهادة برسالته ـ ﷺ ـ وذلك مثل قوله ـ ﷺ ـ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

وهذا الشطر الثاني من الشهادتين يفيد أن محمدًا رسول الله حقًّا، فهو من جهة ليس إلهًا، وليست فيه أي صفة من صفات الألوهية، ومن جهة ثانية: ليس كذابًا ولا ساحِرًا ولا كاهنًا ولا مجنونًا، فالذي يشترك فيه مع الناس هو البشرية، والذي يتميز به عنهم هو الوحي والنبوة، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ

﴿أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ فصلت:٦.، وقد قامت علىٰ صدق نبوته دلائل كثيرة: فمنها صفاته، ومنها معجزاته، ونبوءاته، ومنها البشارات به في الكتب السابقة، إلا أن أعظم آية تشهد له بالنبوة هي القرآن الكريم، قال تعالىٰ:﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ الحاقة:٤٣.

واسم "محمد" من أفضل الأسماء وأحسنها ومعناه: الذي كثرت خصاله المحمودة قال ابن فارس:" وبذلك سمي نبينا ـ ﷺ ـ محمدًا يعني لعلم الله ـ تعالىٰ ـ بكثرة خصاله المحمودة ألهم أهله التسمية بذلك" (١)، وكذلك الوصف بالرسالة "رسول" تحقيق وتأكيد بأنه مرسل من ربه حقًا، فالرسول رجل بعثه الله ليبلغ الناس شرعه، وأيده بالآيات الدالة علىٰ صدقه، وفي إضافة لفظ رسول إلىٰ ضمير ذي الجلال"رسول الله"، إيذان وإعلان بصدق رسالته وكمال بعثته، وفيه كذلك تشريف وتوقير واحتفاء، واعتراف وتقرير بصدق بعثته ونبوءته.

وزيادة في تأكيد رسالته ـ ﷺ ـ تجد أنه وضع المظهر موضع المضمر فقال (وأن محمدًا رسول الله)، والأصل أن يقول (وأنىٰ رسوله)، لأن للضمير مرجعه يعود إليه ولكن النبي ـ ﷺ ـ أحدث التفاتًا عندما أتىٰ بالاسم المظهر (محمد، الله)؛ لأن« قدرًا كبيرًا من التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظًا به، ولا يستطيع الضمير حمله نيابة عنه؛ لأنه يتولد حين يقرع اللفظ السمع

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ١٠٠، وعمدة القارىٔ ٩/ ٣٧٠

(٢) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أ. د. محمد محمد أبو موسىٰ، الطبعة التاسعة، مكتبة وهبة ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م، ٢٨٤.

لتأكيد رسالة سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ، وتثبيتها في القلوب، وكذلك للتأكيد علىٰ عظمتها، وبيان أهميتها في إسلام الفرد، وصحة إيمانه. هذا فضلًا عما يحققه هذا التحول من إثارة وتشويق إلىٰ المعنىٰ، «فالتحول، أو الانحراف عن النسق المثالي للتعبير، يحدث نوعًا من الإثارة لدىٰ المتلقي نتيجة التضاد الناجم عن الاختلاف الحادث من اختراق النظام، وهو اختلاف غير متوقع لدىٰ القارئ؛ لذلك يحدث لديه لونًا من المفاجأة، والاستثارة». (١)

وإضافة (رسول) إلىٰ (الله) أفادت التعظيم، أي تعظيم هذا الرسول لأنه رسول الله الذي تناهت عظمته، وعظمت قدرته، وعلا قدره، وارتفع جاهه، فلقد استمد هذا الرسول عظمته من عظمة الله، وقدره من قدر الله ـ عز وجل ـ

كما أن إيثار النبي ـ ﷺ ـ للفظ الجلالة (الله)، عن غيره من أسمائه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لإلقاء الروع والمهابة في القلوب، هذه المهابة التي تنبثق من هذا اللفظ الذىٰ يدل علىٰ عظمة ذاته وكمال صفاته، فإذا قرع هذا اللفظ السمع دخل تعظيمه إلىٰ القلب، ومهابته إلىٰ النفس، فتسارع إلىٰ أداء حقه، والوفاء به.

فشهادة أن محمدًا رسول الله تفيد أن ما أخبر به من أمور الغيب حق يجب تصديقه فيه، وهذا الغيب يشمل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتصديقه في دعوىٰ النبوة والرسالة، ويفضي إلىٰ التسليم له بهذا العلم الذي أخبر به؛ لأنه ليس من عنده، بل من

(١) استثمار الأسلوب العدولي في تذوق النص القرآني، أ.د. عيد محمد شبايك مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد الثامن، يناير ٢٠٠٤م. ٣٠.

عند الله عالم الغيب والشهادة، وفي هذا دلالة علىٰ أن ما أمر به من أمور الشرع عدل وخير يجب اتباعه فيه، وقد أمر بشرع فيه صلاح الأفراد، والأسر، والمجتمعات؛ فاتباعه فيه بغير قيد ولا شرط من تمام الشهادة له بالنبوة والرسالة.

«فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» اختيار في الحياة، يحدد التصور الذي يعيش به المرء والسلوك الذي يتصرف به، والنطق بهما يعني تحولًا علىٰ المستوىٰ الفكري والواقعي، فبهما يتحدد مصدر التلقي، وبهما تتحدد الغاية والهدف؛ فهذا الحديث تلخيصًا لدعوة الإسلام؛ لأنه متضمن للشهادتين، والإسلام كله قام علىٰ أساسين عظيمين: أن يُعبد الله وحده، وتلك «شهادة أن لا إله إلا الله»، وأن يُعبد بما جاء به رسوله ـ ﷺ ـ وتلك «شهادة أن محمدًا رسول الله»، فالإسلام بناء يقوم علىٰ أركان خمسة أولها الشهادتان.

فأركان وشروط القبول بالنسبة للعبادات كلها: الإخلاص لله ـ جل وعلا ـ والاقتداء، والمتابعة للنبي ـ ﷺ ـ ، فلو شهدوا أن لا إله إلا الله، ولم يشهدوا أن محمدًا رسول الله. لا يدخلوا في الإسلام حتىٰ يأتوا بشهادة أن محمدًا رسول الله. فقد أعلىٰ الله ذكر نبيه ـ ﷺ ـ بدليل قوله ـ جل وعلا ـ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الشرح: ٤ . معناه: لا أُذكر حتىٰ تذكر معي؛ لأنهم إذا شهدوا أن لا إله إلا الله، كان مِن لازمها أن يشهدوا أن محمدًا رسول الله؛ لأنهم إذا أقروا أنه لا إله إلا الله، فقد أمرهم الله بالاعتراف بالنبي ـ ﷺ ـ فلزم من شهادة أن لا إله إلا الله شهادة أن محمدًا رسول الله، ويلزم من شهادة أن محمدًا رسول الله تصديقه

فيما أخبر به، ومع ذلك لا بد من النطق بالجملتين، وإن كانت كل واحدة متطلبة للأخرىٰ، لكن لا بد من النطق بهما معًا لحقن الدم؛ فلابد أن يعرف معنىٰ هذه الشهادة، وأن يعمل بمقتضاها وهو تحقق الإيمان بالله وبرسوله.

إن مطلع هذا الحديث قد اشتمل علىٰ حذف وذكر، حيث حذف فاعل أمرت وأقام المفعول مقامه لتعينه، وذكر المفعول لأن في ذكره بخصوصه فائدة، والبليغ هو الذي يراعي الأحوال المختلفة، ويعرف متىٰ يحذف ومتىٰ يذكر.

في هذا الحديث يبدأ النبي ـ ﷺ ـ حديث المتكلم عن النفس في قوله " أمرت"، ثم يلتفت إلىٰ اسمه الظاهر العلم، في قوله "وأن محمدًا رسول الله"؛ ليقرر ما قرره الله في قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ الفتح :٢٩، وليدفع أدنىٰ شك عن الاسم الذي وجبت له الشهادة لله بالانفراد بالألوهية والوحدانية، والشهادة لرسوله بالرسالة.

والعلاقة بين المطلع والمقصد في هذا الحديث علاقة المسبب بالسبب؛ فالأمر بقتال الناس مسبب عن إرادتهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسو ل الله.

فالإيمان بسيدنا محمد ـ ﷺ ـ وبرسالته حق له وشرط من شروط الإسلام.

المبحث الثاني: حق الطاعة للنبي والحذر من مخالفته - ﷺ -

لقد بعث الله الرسل إلىٰ أقوامهم؛ ليدعوهم إلىٰ عبادة الله - سبحانه وتعالىٰ - وأمر عباده بطاعة رسله - عليهم الصلاة والسلام - فقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ النساء:٦٤، وبعث إلينا نبينا محمدًا - ﷺ - فهدانا إلىٰ الحق، ودلنا علىٰ الصراط المستقيم؛ فوجب له حق الطاعة.

فطاعة الرسول - ﷺ - أصل عظيم من أصول ديننا الحنيف وقد أمرنا الله بها فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ النساء:٥٩.، لأنه مبلغ عن ربه، فبلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة، فرفع الله ذكر نبيه - ﷺ - وأمرنا بطاعته لأنها في الأصل طاعة لله - عز وجل - فقال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ النساء:٨٠، وهذه الطاعة هي علامة الاتباع الصادق للنبي والإيمان به - ﷺ - فعن أبي موسىٰ - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: **"إن مَثَلي وَمَثَلُ ما بعثني اللّهُ به كمَثل رَجل أتى قوماً فقال: يا قوم! إني رأَيتُ الجَيْشَ بعَيْنَيَّ، وإني أَنا النَّذيرُ العُرْيان، فالنَّجاءَ؛ فأطاعه طائفةٌ من قومه، فأَدْلَجوا، فانطلقوا على مهلهم فَنَجَوْا؛ وكذَّبَتْ طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيشُ فأهلكهم واجْتَاحَهُم؛ فذلك مَثَلُ مَنْ أَطَاعَني، واتَّبع ما جِئْتُ به، ومَثَل مَنْ عَصَاني وكذَّب ما جئتُ به من الحقِّ"** (١).

بيَّن النبي - ﷺ - في هذا الحديث حاله مع أمته حيث استجاب الرسول - ﷺ - لأمر ربه في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ الشعراء: ٢١٤،

(١) سبق تخريجه في التمهيد.

فكان منه ـ ﷺ ـ هذا الجهد وذلك النصح في الإنذار، وبدت عليه جميع إمارات الصدق، وجاء يحذر قومه غارة العدو المهلكة، فأسرعت إلىٰ تصديقه وأطاعته طائفة، واستعدت للنجاة، فنجت في سعة من الوقت وفازت، وتباطأت في تصديقه وعصته طائفة غرتهم الأماني؛ فلم يتخذوا لأنفسهم الحيطة من عدو قوي وجيش جرار، حتىٰ صبحهم العدو وأغار عليهم؛ فأهلكهم ولم يُبق منهم أحدًا.

استخدم الرسول صورة المثل؛ ليوضح حرصه علىٰ هداية قومه، وذلك عن طريق إقامة الحجة بالاعتماد علىٰ الصورة التمثيلية، التي تلفت النظر إلىٰ الحقيقة بناء علىٰ وجه الشبه الرابط بين الممثل له والممثل به؛ فالحديث يقوم علىٰ أسلوب التشبيه التمثيلي، والغرض منه بيان حال النبي ـ ﷺ ـ مع قومه وموقفهم من دعوته، حيث شبه الرسول في هذا الحديث حاله مع قومه، واختلافهم في الاستجابة لدعوته ما بين طائع وعاص، وعاقبة كلٍ منهم، بحالِ رجلٍ رأي خطرًا عظيمًا يهدد قومه، فأسرع لإنذارهم، وحرصًا علىٰ نجاتهم، وإحساسًا بضيق الوقت، وإمعانًا في المبالغة في إيقاظهم، بادر فخلع ثيابه ملوحًا إليهم؛ حتَّي يقتنصوا الفرصة، فيأمنوا من أن يؤخذوا علىٰ غرة، فشبه الرسول ـ ﷺ ـ حال من أطاعه واتبع ما جاء به واختار لنفسه أفضل طريق وأسلمه، بحال من صدَّق ذلك النذير الذي حذَّره؛ فنجا وسلم ماله وعرضه، ووجه الشبه بين الطرفين طاعة ترتب عليها نجاة وفوز، وشبه الرسول ـ ﷺ ـ حال من عصاه ولم يتبع ما جاء به وأعرض عن هديه، بحال أولئك الذين لم

يصدقوا ذلك النذير، واستخفوا أمره وأعرضوا عن نصحه؛ فهلكوا وخسروا مالهم وعرضهم، ووجه الشبه التكذيب والإعراض، الذي أعقبه الهلاك فجأة والندم علىٰ ما فات، وتجرع الحسرات. ويلاحظ أن التشبيهين الأول والثاني تم ربطهما برباطين قويين بما قبلهما في قصة النذير العريان وهما: الفاء واسم الإشارة في قوله "فذلك"، فوجه الشبه هيئة مركبة من ثلاثة أطراف، الرسول - ﷺ - مع قومه وينذرهم من عذاب الله ويدعوهم إلىٰ النجاة المتمثلة في طاعته، وفي المقابل رجل مع قومه ينذرهم من قرب العدو الذي سيدمر آثارهم. ثم ما ترتب علىٰ ذلك من النجاة للطائفة التي صدقت الإنذار وأسرعت بالطاعة، والهلاك والاستئصال للطائفة التي كذبت الإنذار واستمرت علىٰ العصيان.

وهذه الصورة التشبيهية جاءت وخرجت من جعبة تشبيهاته النبوية؛ حتىٰ ترسخ في نفس المتلقي وتظهر للعيان. فالنبي - ﷺ - بعث في وقت كانت فيه البشرية غارقة في أوحال الكفر والإلحاد، والشرك الذي كان منتشرًا في شبه الجزيرة العربية خاصة، وفيٰ أنحاء الأرض عامة، فرسالته من الأهمية بمكان لإنقاذ البشرية من العذاب والهلاك في الدنيا والآخرة، ولشدة الأمر وبيان مكانة رسالته؛ ضرب المثل بصورة يعرفها الناس من واقعهم، وهي صورة " النذير العريان ". فالتشبيه ضرب من الحياة العربية، ومعانيه مستوحاة من طبيعة حياتهم في الجاهلية التي تئن بالحروب وتقاسي ويلاتها، وترضع آلامها.

ويلاحظ علىٰ هذا التمثيل النبوي أنه تمثيل دقيق نابع من البيئة، ويلاحظ أيضًا أن ألفاظه معبرة أدق تعبير عن الصورة المقصودة، فكل لفظة فيه تناسب المعنىٰ وتخدم المشهد المعروض لتصل من خلالها إلىٰ لوحة تصويرية متناسبة الأجزاء كأنك تشاهدها رأىٰ العين، فبلغ هذا التشبيه مبلغًا عظيمًا في التأثير وتوضيح المعنىٰ؛ ويرجع ذلك لحسن بيانه ـ ﷺ ـ.

فبدأ بقوله: (**مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجلٍ أتى قومًا**)، والمثل الصفة العجيبة الشأن يوردها البليغ علىٰ سبيل التشبيه لإرادة التقريب والتفهيم أي صفتي وصفة ما بعثني الله به من الأمر العجيب الشأن كصفة رجل أتىٰ قومًا وشأنه[1]، وفي قوله" مثلي ومثل ما بعثني الله به"، إجمال، وقوله" كمثل رجل..."، تفصيل لهذا الإجمال وفي ذلك تمكين للمعاني وتأكيدها.

وفي قوله: "ما بعثني الله به" إيجاز بالحذف، فالعائد محذوف والتقدير، بعثني الله به إليكم، وجاء بلفظ "كمثل رجل" ليشبه نفسه مع قومه بصورة رجل رأىٰ العدو، فانطلق يحذر أهله، وجاء التنكير في قوله " قومًا " للشيوع، وفي مناداتهم بقوله: "فقال يا قوم" إشعارًا بحبه، وشفقته ـ ﷺ ـ عليهم، وفي هذا إشارة ودلالة علىٰ حرص الرسول ـ ﷺ ـ علىٰ نجاة قومه،

(١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١١/ ٣١٦، ٣١٧ بتصرف.

ويلاحظ أن النبي - ﷺ - ترقىٰ في مخاطبتهم، دون أن يسلك مسلك المواجهة والمجابهة، فقد كان حريصًا علىٰ هدايتهم، وعلىٰ دخولهم في دين الله أفواجًا.

وللرسول - ﷺ - رؤية واضحة لقراءة أحوال المدعوين؛ لذلك أتي بهذا التمثيل، لأنه" إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلىٰ صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفًا، وقسر الطبع علىٰ أن تعطيها محبة وشغفا" (١)

" **إني رأيت الجيش بعيني** "، في قوله: " إني " تأكيد: وفي قوله: "رأيت"، تحقيق لحصول الرؤية و اللام في قوله: "الجيش" للعهد، والرؤية لا تكون إلا بالعين؛ لذلك ازداد التأكيد بذكر" بعيني "، إشارة إلىٰ أنه - ﷺ - قد تحقق عنده جميع ما أخبر به تحقق من رأىٰ الشيء بعينيه، لا يعتريه وهم، ولا يخالطه شك، ويصل التأكيد الغاية في قوله: "**وإني أنا النذير العريان**"(٢)، فإنه دل علىٰ بلوغ النهاية في قرب العدو، وفىٰ ذلك تنبيه علىٰ أنه

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت. محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة ١١٥.

(٢) و(النذير العريان)، مثل يضرب لشدة الأمر، ودنو المحذور، وبراءة المحذر عن التهمة، وأصله أن الرجل إذا رأىٰ العدو تجرد من ثوبه وأخذ يرفعه ويديره حول رأسه إعلامًا لقومه بالغارة عليهم، ضرب به النبي - ﷺ - المثل لأنه تجرد لإنذار قومه اللسان مادة نذر.

هو الذي يختص في إنذاره بالصدق الذي لا شبهة فيه، وهو الذي يحرص علىٰ خلاص قومه من الهلاك[1]. فكأنك تنظر إلىٰ ذلك النذير وهو يتحدث، والخوف مسيطر عليه، والصدق ملء عينيه، وصدق الرسول ـ ﷺ ـ واضح لا شك فيه.

وقوله (**فالنجاء**)، كناية عن الإسراع، وهو منصوب علىٰ الإغراء وقد حذف فعل الإغراء إيجازًا أي الزموا النجاء، أو اطلبوا النجاء، وقد استخدم المصدر (النجاء)، والمعنىٰ" اسلكوا طريق النجاة قبل أن يدهمكم العدو"[2]. بأن تسرعوا الهرب، إشارة إلىٰ أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك الجيش، ففيه معنىٰ الأمر والإغراء بالنجاء[3].

ثم بيَّن النبي ـ ﷺ ـ من خلال هذه اللوحة التصويرية موقف الناس إزاء هذا النذير العريان. هل صدقوه أم كذبوه؟ وجاء الجواب باستخدام المحسن البديعي المعروف بالجمع مع التقسيم[4]،لبيان أقسام الناس في قبول الدعوة، وقد أشار الإمام عبد القاهر إلىٰ التقسيم باعتباره مما يدخل في دقة النظم

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني١١/ ٣١٦ ، ٣١٧

(٢) المرجع السابق ١١/ ٣١٧

(٣) الصاحبي ، ابن فارس: ٢٣٧.

(٤) وهو ذكر متعدد تحت حكم ثم تقسيمه. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع مختصر تلخيص المفتاح، تأليف الخطيب القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضىٰ القضاة سعد الدين أبي محمد بن عبد الرحمن القزويني مكتبة ومطبعة علىٰ صبيح وأولاده بميدان الأزهر ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. ص ٢٠٤

وغموض المسلك[1]، فبعد أن جمع النبي ـ ﷺ ـ الناس بأنه منذر لهم جميعًا، شرع ـ ﷺ ـ يقسم أنواع الناس الذين يتلقون الإنذار: فقال: "**فأطاعته طائفة**" هذا هو القسم الأول من أقسام المتلقين الإنذار، ومن جمال الصياغة قوله: (فأطاعته) دون (صدقته)، فهذا الفعل يوحي بالتنفيذ المباشر، فقد يصدق ولم ينفذ فيهلك، "**فأدلجوا فانطلقوا**"، أي ساروا أول الليل، أو الليل كله علىٰ مهلهم؛ فنجو من العدو وقوله: (**على مهلهم**)، المراد به السكون حتىٰ لا يشعر بهم أحد، المَهل والمِهل والمُهلة كلها السكينة والتؤدة والرفق، وفلان ذو مهل أي ذو تقدم في الخير ولا يقال في الشر[2]، فقوله علىٰ "مهلهم" سواء أكان بسكون الهاء أو بفتحها، معناه أنهم ساروا سيرًا لا مشقة فيه ولا إزعاج معه، ومع ذلك نجوا من الهلاك، وكذلك شرعه ـ ﷺ ـ لا مشقة فيه ولا إرهاق، ومع ذلك يُوصل للنجاة لذلك قال: **فَنَجَوْا** من النار ونالوا السعادة الأبدية. ويجوز علىٰ الفتح أن يراد المعرفة المتقدمة بالموضوع، ويكون المعنىٰ أنهم ساروا علىٰ هدىٰ ونور فنجوا، وكذلك العامل بشرعه ـ ﷺ ـ فإنه يسير علىٰ نور[3]، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ الزمر: ٢٢.

(١) دلائل الأعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه الشيخ محمود محمد شاكر مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية للكتاب ٢٠٠٠م. ٩٤-٩٥

(٢) اللسان: مادة مهل

(٣) صفوة صحيح البخاري ٣/ ٤٨٦

إن تصوير نجاتهم من العدو بسيرهم في هدأة الليل يصور خروج الناس من بيداء الجاهلية وظلامها إلىٰ نور الهدىٰ والرشاد، وهذا السير إنما كان علىٰ مهل، وكذلك النبي ـ ﷺ ـ أخرجهم من الضلال إلىٰ الهدىٰ في رفق ولين، ومكث ثلاث عشرة سنة يربىٰ ويعلم، ويوجه ويرشد فما ضاق ذرعًا، أو يئس من هدايتهم.

"**وكذبته طائفة منهم**"، وصل النبي هذه بالجملة بما قبلها؛ لما بينهما من التوسط بين الكماليين حيث إن الجملتين خبريتين لفظًا ومعنىٰ، ووجدت المناسبة المسوغة للعطف، فهؤلاء هم القسم الثاني من قسمي الناس الذين يتلقون الإنذار، كما حسن الوصل بينهما، لأن الجملتين متناقضتين وهذا من محسنات الوصل التي ذكرها البلاغيون في الوصل بين الجمل.

وتأمل التصوير بالكناية في قوله: "كذبته" كناية عن الإعراض وعدم الاكتراث، والإشارة إلىٰ حمق هؤلاء وجهلهم المطبق، فبماذا يوصف من يكون بين يديه شيء عظيم ولا يأبه به ولا يكترث له؟.

ثم بين عقاب التكذيب فقال: (**فصبحهم الجيش**)، أتاهم صباحًا. وقوله (**فاجتاحهم**)، أي استأصلهم، والاسم الجائحة وهي الهلاك، وأطلقت علىٰ الآفة لأنها مهلكة، والاجتياح يوحي بسرعة الهجوم والبطش وشدة البأس. فمن كذبوا النذير، واستهانوا بتحذيره، جاءهم الجيش واجتاحهم في الصباح فأهلكهم، وهنا ملحظ في قوله: " فصبحهم " فالنذير قد جاءهم في اليوم الذي قبل يوم هلاكهم، ثم صبحهم الجيش، فما أقصر الوقت بين الإنذار

والإهلاك! وكذلك بالنسبة لدعوته ـ ﷺ ـ ما أقربها من الساعة، وما أقصر عمر الإنسان، فإذا كان من أنكر علىٰ النذير واستهزأ بتحذيره قد صبحه الجيش وأهلكه بعد ساعات، فكذلك حال من عصىٰ الرسول وكذب بدعوته هلاكه قريب بدنو أجله.

وقد عبر في الفرقة الأولىٰ بالطاعة، وفي الثانية بالتكذيب؛ ليؤذن بأن الطاعة مسبوقة بالتصديق، ويشعر بأن التكذيب مستتبع للعصيان.

وقال في الفقرة الأولىٰ: " فأطاعته "، وقابله في الثانية " كذبته " كأنه جمع في كل من الفقرتين بين المعنيين وأتبع قوله " اجتاحهم " قوله " **أهلكهم** " إعلامًا بأنه أهلكهم عن آخرهم فلم يبق منهم أحد" (١).

ولما كانت الشريعة السمحة تدور بين الترغيب تارة، والترهيب تارة أخرىٰ، تجد النبي ـ ﷺ ـ يتخذ من المقابلة وسيلة للترغيب في قبول ما جاء به، وسماعه والإفادة منه، والترهيب من الإعراض والصد عنه، وذلك من خلال مقابلته بين قوله فأطاعته طائفة، وكذبته طائفة، وقد رمىٰ ـ ﷺ ـ من وراء مقابلته تلك إلىٰ إبراز البون الشاسع بين هاتين الفئتين ليكون ترغيب هناك وترهيب هنا.

(١) ينظر شرح الطيبىٰ علىٰ مشكاة المصابيح المسمىٰ بالكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي الناشر: مكتبة نزار مصطفي الباز مكة المكرمة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ، ١/ ٣٣٥،٣٣٦

وأسلوب المقابلة من الأساليب التي تؤكد المعاني وتقررها عند المخاطب؛ لأن الضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتميز الأشياء، وقد جعل العلامة فخر الدين الرازي المطابقة والمقابلة من القسم الثاني من قسمي النظم «وهو الذي تكون فيه الجمل المذكورة متعلق بعضها بالبعض، وهنا تظهر قوة الطبع وجودة القريحة واستقامة الذهن، وكلما كانت أجزاء الكلام أقوىٰ ارتباطًا وأشد التحامًا كان أدخل في الفصاحة»(١).

فالمقابلة بين (فأطاعته طائفة، وكذبته طائفة) تبرز كل طائفة وجزائها، وتثير الذهن إلىٰ تأمل ما ترتب علىٰ الطاعة وعلىٰ التكذيب وتلفت الانتباه إلىٰ إدراك النقيضين، مما يترتب علىٰ ذلك من لفت انتباه السامع أو القارئ إلىٰ أن طاعة الرسول ـ ﷺ ـ هي سبيل النجاة، وأن العصيان طريق الهلاك.

وتلحظ أن النبي ـ ﷺ ـ رتب هذه الأقسام ترتيبًا تنازليًا حيث بدأ بالأعلىٰ وهم الطائفة الطائعة؛ وذلك لبيان مكانتهم، وعظيم منزلتهم، ثم ذكر الأدنىٰ منزلة، وهم الطائفة العاصية؛ لذلك جعلهم النبي مؤخرين في الذكر ليناسب تأخيرهم في منزلتهم، فالمكذبين هم أحقر الناس منزلة، وأدناهم مكانة.

ثم بين النبي ـ ﷺ ـ أن هذا مثل من أطاعه وصدق برسالته وبما جاء به واتبعه علىٰ الهدىٰ، ومثل من كذب به وعصاه وسلك طريق الضلال والردىٰ،

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لفخر الدين الرازي (محمد بن عمر) المتوفىٰ ٦٠٦هـ تحقيق د. نصر الله أوغلي، دار صادر، بيروت ، ط١ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م. ١٤٥،١٤٦

فقال: ـ"فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق".

وللترابط بين جمل الحديث يكثر استخدام الفاء في قوله ـ ﷺ ـ: (فقال، فالنجاء، فأطاعته، فأدلجوا، فانطلقوا، فنجوا، فأصبحوا، فصبحهم، فاجتاحهم ، فذلك)؛ ليتبين مدىٰ بلاغة النبي ـ ﷺ ـ في ربط المعاني بما هو أليق، وترتيب الكلام بعضه علىٰ بعض بما هو أوفق، وترابط الجمل وتماسكها بما هو أنسب؛ حتىٰ صارت بناء واحدًا.

ويلفت النظر في هذا الحديث العظيم أن النبي ـ ﷺ ـ اقتصر علىٰ توضيح جانب الإنذار، دون عنصر التبشير، مع أنه الصورة المقابلة للإنذار، ولعل الاقتصار علىٰ الإنذار كان من خصائص المرحلة الأولىٰ للدعوة؛ ومن هنا فإن البشرية إذا ابتعدت عن الوحي المنزل علىٰ الرسول الأكرم ضلت وتاهت في غياهب المحن؛ إذا بالوحي يستقيم شأن الفرد والمجتمع، فكانت البشرية أحوج إلىٰ الإنذار والإعلام والتخويف من المخاطر والمهلكات، التي تتربص بالأمة مالم تفئ إلىٰ أمر الله، وتطيع رسول الله ـ ﷺ ـ فالتشبيه إنذار في جملته، فكان مناسبًا، وله أثر في النفس المتأملة، ودل علىٰ ما كان الحديث مساق من أجله، وهو وجوب طاعة الرسول ـ ﷺ ـ فقد بعث مبشرًا ونذيرًا، والحديث بيَّن جانب النذارة.

فهذه الألوان البلاغية في هذا الحديث توضح أن فصاحة النبي - ﷺ - هي أتم فصاحة، وأن بيانه هو أرقىٰ بيان، وأن بلاغته هي أسمىٰ ما عرفت البشرية من بلاغة بعد بلاغة القرآن الكريم .

ولما كانت قضية الطاعة وما يترتب عليها من الأهمية بمكان لكل مسلم؛ فإن النبي - ﷺ - أجرىٰ هذا الحديث مجرىٰ المثل. فصدره بقوله (مثلي ومثل ما بعثني الله به ... الخ)، وذلك لأن المثل "يزيد المنطق تفخيما، ويكسبه قبولا، ويجعل له قدرًا في النفوس، وحلاوة في الصدور، ويدعو القلوب إلىٰ وعيه، ويبعثها علىٰ حفظه ... "[1]، وله أكبر الأثر في إخراج المعنىٰ من الخفي إلىٰ الجلي، ومن المعقول إلىٰ المحسوس، وجعل النفس له أعرف والقلب به أمكن، وهذا آية البلاغة العالية، والبيان الراقي، وكأن إجراء هذا الحديث مجرىٰ المثل إشارة من النبي - ﷺ - إلىٰ أنه يجب علىٰ كل مسلم أن يعرف حاله، ويتبين خبره، فيسارع إلىٰ ما هو خير ويكون ذلك بالطاعة التامة للرسول الكريم - ﷺ -

❁❁❁❁❁

(١) جمهرة الأمثال لأبىٰ هلال العسكري تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش ط الثانية دار الجيل ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ١/ ٤ .

الحذر من مخالفته - ﷺ -

فرض الله سبحانه وتعالىٰ علينا طاعة الرسول - ﷺ - وجعل طاعته واجبة علىٰ المؤمنين، وجعل لمن أطاع الرسول - ﷺ - أعظم الجزاء: كالفوز بالجنة والنجاة من النار، وتوعد - سبحانه وتعالىٰ - من أعرض عن طاعة رسوله بالعذاب الأليم، والخزي الدائم في الدنيا والآخرة.

ومن موجبات الطاعة الاقتداء بالرسول - ﷺ - في جميع الأشياء، سواء كانت عزيمة أو كانت رخصة، سواء كان أمرًا شاقًا أم صعبًا، سهلًا أم عسيرًا، نقتدي به - ﷺ -، لا نأخذ بالأصعب، ولا نأخذ بالأسهل، بل يجب أن نأخذ ما ورد عن الرسول - ﷺ -

والحق أن من أحب شخصًا أطاعه، فكيف يدعي مسلم محبة النبي - ﷺ - ثم لا يكون مطيعًا لأمره! فالمحب مطيع لمن أحب ،وقد أحسن من قال:

تَعْصِــي الإِلهَ وأنْتَ تُظْهرُ حُبَّهُ   هَـذَا مُحَـالٌ في القيَـاسِ بَـديعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَــادِقًا لَأَطَعْتَهُ   إنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ[1]

وإنما تتم المحبة بالطاعة كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ آل عمران: ٣١، فنبينا - ﷺ - هو القدوة والأسوة لهذه الأمة، فالعمل الذي

(١) جاءت هذه الأبيات في ديوان الإمام الشافعي المسمىٰ الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، بدون ت. ط، ٩٦.

يفعله هو الأصلح لها، سواء كان ذلك عزيمة أو رخصة، فالخير للأمة أن تتبع هديه، وأن تقتفي أثره ـ ﷺ ـ

ومما جاء في مقام عموم الأخذ بالرخص، والنهي عن الغلو والتشديد في العبادة وتعذيب النفس، ما ورد عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: " صنع النبي ـ ﷺ ـ شيئًا ترخص فيه، وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ـ ﷺ ـ فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: " **ما بالُ قومٍ يتنزَّهون عن الشيء أَصنَعُه؟ فو الله! إنِّي لأعلمهم بالله، وأشدُّهم له خَشْيَةً** "(١)

في هذا الحديث ترخص النبي ـ ﷺ ـ في عمل صنعه؛ لحكمة قد تخفىٰ علىٰ أمته، أو علىٰ بعض أفرادها، ولكن بعض الصحابة تنزهوا عن ذلك العمل، ورغبوا عن تلك الرخصة التي ترخص فيها رسول الله ـ ﷺ ـ وأخذ بها، فلما بلغه ذلك الأمر قام فخطب فيهم ـ وهو لا يخطب إلا لأمر جلل ـ فلما حمد الله وأثنىٰ عليه، توجه بالإنكار لمن صدر منهم ذلك العمل، وأوضح لهم أنه أخشىٰ الناس لله، ولو كان هذا الأمر من خشية الله لفعله ـ ﷺ ـ، ولو كان واجبًا لما تركه.

ومن المعلوم أن الإسلام دين اليسر ورفع الحرج عن الناس، فليس فيه ما يعنت النفس أو يفوق طاقتها، فهذا الحديث يرد علىٰ من احترز عن فعل النبي ـ ﷺ ـ وشق علىٰ نفسه، وفيه " حث علىٰ الاقتداء به ـ ﷺ ـ ونهىٰ عن التعمق في العبادة، وذم التنزه عن المباح شكًا في إباحته" (٢)

---

(١) سبق تخريجه في التمهيد.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ ج ١٥/ ١٠٧

بدا واضحًا غضب النبي - ﷺ - علىٰ تلك الثلة، التي شقت علىٰ نفسها وخرجت من عباءة التيسير، وظهر ذلك عندما علم بأمر هؤلاء، قام فخطب والنبي لا يخطب إلا في الأمر الجلل، دليل علىٰ أن مخالفة الرسول أمر عظيم، فقيام النبي للخطبة أمر يثير انتباه كل الحاضرين؛ ذلك لأن ملامح وجه النبي أثناء الخطبة تعطي معاني وإشارات عظيمة فالنبي - ﷺ - كما وصفه صحابته - كان إذا خطب علا صوته، واحمرت عيناه، وانتفخت أوداجه، فهذه التعبيرات التي تعلو وجه النبي - ﷺ - هي أبلغ في بيان قيمة ما يدعو إليه، وعظيم أهميته، وبالغ انفعاله به، وتوقد مشاعره به من مئات الكلمات والأساليب. وإن من يتأمل ملامح النبىٰ - ﷺ - وتعبيرات وجهه عند خطابته ليوقن تمام اليقين بأثر هذه التعبيرات علىٰ ما يقوله من توجيه ونصح، وكيف أن هذه الملامح والتعبيرات لتغلف هذه التوجيهات والنصائح بصدق اللهجة، وحرارة المشاعر، وتوقد هذه النفس الزكية وانفعالها بكل ما تقوله وتدعو إليه.

إن من يطالع النبي - ﷺ - ويستمع إليه وهو علىٰ هذه الحالة لا يملك إلا أن ينصاع لكلامه، ويستجيب لما يدعو إليه، وهذا هو عين البلاغة، وقمة البيان، وجاء الاستفهام في قوله - ﷺ -: **"ما بال"** [1] ليعكس غضب النبي -

(١) تتركب صيغة (ما بال) من (ما) الاستفهامية، مضافًا إليها كلمة (بال)، أما (ما) فمعلوم أنها إذا استعملت في الاستفهام فهي اسم، يسأل بها عن غير العقلاء، ويطلب بها تعيين الجنس، كما يطلب بها تعيين صفة الشيء وبيان حقيقته، كما يطلب بها إيضاح الاسم وشرحه. أما كلمة (بال) فقد جاء في المعجم " أمر ذي بال، شريف يحتفل به ويهتم لأمره وعليه فإن كلمة (البال)، يقصد بها كل أمر يعبأ به أوله، ويشغل القلب والفكر لما له من خطر وشأن، ودخول ما الاستفهامية علىٰ تلك الكلمة، يعنىٰ أن ثمة ما يوجب الدهشة والتعجب، فانطلق لسانه يسأل عن سبب ما دهش له وتعجب منه، وأي شيء قد يكون طرأ علىٰ المسئول عنه وشغل قلبه وفكره " وكأنك حين تقول: ما بال زيد يفعل كذا ؟ تريد أي شيء ظهر له وشغل قلبه وعقله، وبدل

ﷺ - وتعجبه وإنكاره علىٰ هؤلاء الذين تشددوا في الدين وتركوا الأخذ بالرخصة، وإضافة البال هنا إلىٰ الأقوام "**ما بال أقوام**"؛ ليشمل كل من وقع منهم التشدد علىٰ أنفسهم في زمانه - ﷺ - وفي كل زمان، وفيه ستر علىٰ من وقعت منهم تلك المخالفات في زمانه - ﷺ - حيث لم يذكرهم بأسمائهم، وفيه أيضا لفت وتنبيه لخطر تلك المخالفة دون نظر إلىٰ أشخاص بعينهم، فقد بلغ أدبه - ﷺ - مبلغًا عظيمًا؛ حيث لم يتوجه بالإنكار لمن صدر منهم الفعل، ولكن أبهم وعمم في قوله - ﷺ - "أقوام"، وفي ذلك دلالة علىٰ أن المراد هو إنكار الفعل بغض النظر عمن صدر منه ذلك الفعل" فمن حسن معاشرته، وأدبه وتركه مواجهة الناس بما يكرهون وبتسميتهم بأسمائهم علىٰ رؤوس الجميع وتوبيخهم معينين، بل أبهم الأمر، وترك التعيين" [1].

فالإبهام والتعمية في هذا الإنكار دون أن يتوجه لشخص معين مع علمه بمن صدر منه هذا الفعل، فيه عدت دلالات وإيحاءات: منها عدم التشهير بمن صدر منه ذلك الفعل، وليجنبه الفضيحة علىٰ الملأ، وليجنبه المواجهة

وغير شأنه حتىٰ فعل كذا وكذا " ينظر مفتاح العلوم: لأبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي المتوفىٰ ٦٢٦هـ تحقيق: أ.د. عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م ،٤٢٠-٤٢١ وعلم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني أ.د. بسيوني عبد الفتاح فيود. مؤسسة المختار القاهرة الطبعة الثالثة ١٤٣١هـ٢٠١٠م ،٣٩٢. شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمة الكلام الأول. أ.د. محمد أبو موسىٰ، الطبعة الثانية مكتبة وهبة القاهرة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ،٢٧٣.

(١) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمىٰ إكمال المعلم بفوائد مسلم، للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسىٰ بن عياض الحيصبي ت ٥٤٤هـ. تحقيق الدكتور. يحيىٰ إسماعيل: الطبعة الأولىٰ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة. ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م. ٤/ ٥٢٩

والمجابهة بما بدر منه، كما أن في ذلك إشارة إلىٰ أن المراد من الإنكار: إزالة المنكر، وتسليط الإنكار علىٰ الفعل؛ لئلا يتكرر وقوعه مرة أخرىٰ، كما أن فيه دلالة علىٰ حسن خلقه ـ ﷺ ـ وحسن صحبته لأصحابه، ومعاشرته لهم.

وعبر بالفعل المضارع "يتنزهون"؛ ليستحضر صورة هؤلاء المتنزهين عما رخص النبي ـ ﷺ ـ ويشنع عليهم فعلتهم، ويبشعها في أذهان كل مخاطب. ومن هنا يتبين أن النبي ـ ﷺ ـ حين أنكر تلك الأفعال أراد أن يقطع دابرها، وأن يمنع استمرارها، وتجدد حدوثها مرة أخرىٰ، فهو لا يريد أن تحدث هذه الأمور مرة أخرىٰ، سواء ممن صدر منهم ذلك الفعل، أو من غيرهم، ولعل هذا هو السر في إبهام المنكر عليهم دون تحديدهم، والتوجه بالإنكار إلىٰ الفعل؛ إذ المراد إزالة المنكر، ومنع حدوثه.

والمقصود بالتنزه الاحتراز عن الفعل والذين احترزوا عما رخص فيه رسول الله ـ ﷺ ـ في زمانه كانوا قد تأولوا لما أقدموا عليه تأويلًا، رأوا من خلاله أن رسول الله ـ ﷺ ـ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيتساهل معه بما لا يتساهل مع غيره، وهذا تأويل باطل، فحاشا رسول الله ـ ﷺ ـ أن يقعد عن شيء يبتغي به مرضاة الله ويقصر فيه.

وتعريف "**عن الشيء**" هنا لسبق العهد به في قول أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ:" صنع رسول الله شيئًا"، والفعل المضارع " **أصنعه**" يكشف عن ديمومة الشرائع وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وأن الترخص في الشيء قد يخفىٰ فيه وجه العلة، ولكن علىٰ امتداد الزمان قد تظهر علته ووجه الحكمة فيه.

ثم بين لهم أنه ـ ﷺ ـ أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية في قوله ـ ﷺ ـ " **فو الله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية** "، جاء هذا القسم ليعكس شدة غضبه ـ ﷺ ـ، علىٰ هؤلاء المتأولين، ويقتلع لهم جزور هذا الظن، بأساليب التوكيد المختلفة التي شحنت بها تلك الفقرة من الحديث، فهذا أسلوب القسم في قوله: " فو الله "، جاء معطوفًا علىٰ ما سبقه بالفاء؛ تنبهًا

علىٰ امتلاء النفس وتحفزها بما هي آخذه في القسم عليه والانفعال به، والتصريح بلفظ الجلالة "الله" تربية للمهابة في نفس كل مخاطب يبتغي بأعماله وجه الله ـ عز وجل ـ، وجاء جواب القسم مؤكدًا بإن الداخلة علىٰ ضمير المتكلم" إني"، لتبرز الذات المتحدثة وتضيف إليها ما قصد إضافته إليها في أظهر صورة وأوكدها، حيث أكد جواب القسم مع العلم بأن رسول الله لا ينطق عن الهوىٰ، وكلامه ثابت محقق غير مشكوك فيه ولا مكذب، ولعل هذا التأكيد أتىٰ لغرابة الخبر، وهو محاولة البعض القيام بعمل تنزه عنه رسول الله ـ ﷺ ـ .

وفي تصدير الخبر بهذه المؤكدات تأكيدًا لبيان خشية الرسول، وأنها لا تقبل شكًا ولا نقاشًا، فهو أعلمهم بربه، وأشدهم خشية له ـ ﷺ ـ؛ لذلك دخلت اللام علىٰ أسلوب التفضيل "لأعلمهم" للتأكيد علىٰ تفضله ـ ﷺ ـ وتميزه علىٰ من سواه، والتفضيل هنا علىٰ بابه، لا مبالغة فيه ولا تجوز، فالحديث يشرك الجميع في أصل الوصف (العلم والخشية)، فما حملهم علىٰ ما فعلوه إلا التأول مع الرغبة في تحصيل درجات القبول عند الله ـ عز وجل ـ وكان القياس أن يقول: وأخشاهم له ولكنه عدل عنه إلىٰ التعبير بالأشد؛ ليدل علىٰ أن الأشد نفسه خشية، فيحصل بذلك خشيتان: خشية الأشد والخشية ذاتها، وهذا أبلغ من أخشاهم، وقدم العلم علىٰ الخشية؛ لأنها نتيجة له فلا تحصل الخشية إلا بالعلم [1]

إن المخاطبين بهذا الحديث يظنون أن النبي ـ ﷺ ـ ما دام مغفور الذنب فله أن يسلك مسلك الترخص، ولا حاجة له أن يستزيد في العبادة، ويبالغ فيها، أما هم فإن عليهم أن يبالغوا ويشددوا علىٰ أنفسهم رغبة في ثواب الله ورهبة من عقابه، وفي هذا الظن انحراف عن منهج الإسلام الذي جاء بما يلائم الطبيعة البشرية التي خلقها الله وهو الذي أمرهم بهذا الدين واتباع رسوله. ـ

(١) ينظر شرح الطيبي علىٰ مشكاة المصابيح: ج٢/ ٦١١.

ﷺ ـ كما أن فيه ما يوهم سوء الظن بالرسول ـ ﷺ ـ، لكونه قليل العبادة في نظرهم ما دام مغفور الذنب، ويترخص فيما ما أحل الله، فكأنه يكسل عن القيام بعبودية الله، فلما كان هذا حالهم وكان من أهم البواعث إلىٰ عبودية الله سبحانه العلم به، وخشيته ـ عز وجل ـ أراد النبي ـ ﷺ ـ أن يبين لهم أن هذه البواعث متحققة فيه أعظم من تحققها فيهم، مع كونهم يتشددون في عبوديتهم، وهو علىٰ حال من الاعتدال في عبوديته لله وخشيته وتقواه وإن تقالوها، لكنها علىٰ ما يحب الله ويرضاه؛ لذلك اختار في صياغة هذه البواعث صيغة أفعل التفضيل (لأعلَمهم بالله، وَأشدهم له خشية) مع ما في صيغة التفضيل هنا من تزكية النفس، إلا أن المقام يقتضيها لا تعاظمًا ومباهاة، ولكن ردًا علىٰ سوء الفهم لحقيقة الدين، وسوء الظن برسول رب العالمين.

وفي هذا إشارة إلىٰ رد ما بنوا عليه أمرهم، من أن المغفور له لا يحتاج إلىٰ مزيد في العبادة، بخلاف غيره، فأعلمهم أنه مع كونه لا يبالغ في التشديد في العبادة، أخشىٰ لله وأتقىٰ من الذين يتشددون، وإنما كان كذلك لأن المتشدد لا يأمن من الملل، بخلاف المقتصد فإنه أمكن لاستمراره، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه، والدليل علىٰ ذلك اختيار النبي ـ ﷺ ـ للصيغة الاسمية في صياغة الصفات(لأعلَمهم بالله، وَأشدهم له خشية)، دون الصيغة الفعلية للدلالة علىٰ تحقق هذه الصفات فيه علىٰ سبيل الثبوت والدوام.

فالمقام ـ كما هو واضح ـ مقام زجر وتهديد، ونهىٰ وتشديد علىٰ عدم الطاعة للرسول، لذلك حشد النبي ـ ﷺ ـ في هذا المقام من المؤكدات ما بلغت بزجره ذروته، وشارفت به نهايته، فتراه ـ ﷺ ـ بدأ بالخطبة ثم أكد الكلام وقواه بالقسم (فو الله)، ثم زد التأكيد بقوله في الجواب (إني) واللام وأفعل التفضيل (لأعلمهم، وأشدهم)، كل هذه المؤكدات من النبي ـ ﷺ ـ لكىٰ يرتدع كل من تسول له نفسه مخالفة الرسول وينزجر كل من يريد الخروج عن طاعته ـ ﷺ ـ.

❁❁❁❁❁

المبحث الثالث: ـ حق المحبة للنبي ـ ﷺ ـ وثوابها.

إذا تحقق وجوب الإيمان برسول الله ـ ﷺ ـ ووجوب طاعته، وجبت محبته؛ فمحبة الرسول من أعظم درجات القرب والوصول. فإذا وجد حب صادق في قلب امرئ مؤمن لله ـ عز وجل ـ فلابد أن يكون هذا القلب قد أشرق فيه حب حبيب الله الرسول ـ ﷺ ـ؛ فمحبة الرسول تعني الالتزام بسنته، وكلما زادت الطاعة زاد الإيمان وزادت محبته ـ ﷺ ـ وهنا تتحقق السعادة بتذوق حلاوة الإيمان، وتتأكد المحبة لله ولرسوله ـ ﷺ ـ بأن يجعل المرء حياته كلها لله. قال الإمام الزمخشري: محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصَه بالعبادة دون غيره، ورغبتهم فيها، ومحبة الله عباده أن يرضىٰ عنهم، ويحمد فعلهم [1]

عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ـ ﷺ ـ قال: " **ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَد حلاوةَ الإيمان، أن يكون اللّه ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأَنْ يحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا للّه، وأن يكرهَ أَنْ يَعُودَ في الكفر، كما يكرهُ أن يُقذَفَ في النار**" [2]

هذا الحديث الشريف يبين أن المحبة حق من حقوقه ـ ﷺ ـ، ولما كانت الطاعات لا قيمة لها إلا إذا استشعرها القلب وأحس بها، جعل النبي ـ ﷺ ـ

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، ج ٢ / ٣٥٣ .

(٢) سبق تخريجه في التمهيد.

حب الله ورسوله وكل ما يتعلق بهما، علامة علىٰ وجود الايمان والاستلذاذ بحلاوته؛ ولذلك يقول الإمام العيني عن هذا الحديث " قال النووي هذا حديث عظيم وأصل من أصول الإسلام، قلت كيف لا وفيه محبة الله ورسوله، التي هي أصل الإيمان بل عينه، ولا تصح محبة الله ورسوله حقيقة، ولا حب لغير الله ولا كراهة الرجوع في الكفر، إلا لمن قوي الإيمان في نفسه، وانشرح صدره وخالط دمه ولحمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته[١]

بداية الحديث تعد براعة استهلال من الرسول ـ ﷺ ـ وقد لف تلك البراعة في ثوب الإجمال الذي بعده التفصيل، والبدء بالعدد "ثلاثٌ" ثم تفصيله بعد ذلك نوع من أنواع الإطناب البلاغي هو التوشيع[٢]، وقد ذاد الكلام به حسنًا؛ لأنه حينما يجيء منثورًا يحسن دائمًا، لأنه يقع موقعه الطبيعي لسهولة إيراده علىٰ هذا الوجه دون تعسف في الصيغة، وتصيد للمعاني الغامضة، وجلب للروابط المفككة؛ لأنه أتىٰ في صورة تسلم بها العقول[٣].

ويعد الإطناب طريقة من طرائق تمكين المعاني وتقريرها في النفوس، كما أن هذا اللون: (التوشيع)، في هذا الحديث يتلاقىٰ مع ذكر العدد في مطلع

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين العيني ١/ ١٤٨.

(٢) وهو نوع من أنواع الإطناب وهو أن يؤتىٰ في آخر الكلام بمثنىٰ مفسر بمفردين ليرىٰ المعنىٰ في صورتين، يخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلىٰ الظهور المأنوس. ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تأليف العلامة أحمد الهاشمي. تحقيق وحيد قطب، الناشر دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٤٢ وينظر الإيضاح ١١٢.

(٣) البلاغة الغنية، علىٰ الجندي الطبعة الثانية ١٩٦٦ نشر مكتبة الأنجلو المصرية. ١٣٤.

الحديث فبينهما ارتباط وثيق، ويتناغىٰ هذا الإطناب كذلك مع غرض المتكلم ـ ﷺ ـ حيث أن غرضه هو جذب انتباه المتلقي فقد أجمل ثم فصل؛ فـ" المعنىٰ إذا ألقىٰ علىٰ سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلىٰ معرفته علىٰ سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلىٰ ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقىٰ تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم[1]، وأهل العلم علىٰ أن المعاني حينما ينبه إليها، ويهيئ المخاطب لتلقيها، فإنها تستقر في وجدانه، وترسخ في فؤاده، وذلك إنما يكون في الأمور الهامة التي يحرص المتكلم علىٰ إفهام المخاطب إياها، وتثبيتها وترسيخها في وجدانه.

" **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**" تقديم المسند إليه (ثلاث)، يدفع إلىٰ التشويق وترقب الفائدة، وامتلاك ناصية الفؤاد، التي يدفع إليها إبهامه، فبدأ بأسلوب تشويقي رائع يجذب انتباه المخاطب ويخلع علىٰ الخبر أهمية بالغة. وفي قوله: (ثلاث)، إيجاز بحذف المضاف إليه، والتقدير ثلاث خصال، أو حذف الموصوف، والتقدير خصال ثلاث والموصوف هو المبتدأ فلما حذف قامت الصفة مقامه. وجاء الحذف لغرض الإيجاز والاختصار. وجاءت (ثلاثٌ) منونة لتدل علىٰ الحذف، ففيها تنوين عوض، وهو الذي سوغ الابتداء بالنكرة، ففي كلمة واحدة تشويق وحذف جعل النفس تذهب كل مذهب؛ لتعرف المحذوف، ولعل السر في إثبات التعبير بلفظ (ثلاث)

(١) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني. دار إحياء العلوم بيروت ط ٤ ، ١٩٩٨م ١٨٦ .

مجردة دون إظهار المضاف إليه المحذوف، هو المبالغة في الإبهام؛ تشويقًا للسامع لمعرفة أصل هذه الثلاث، وتفصيل محتوياتها.

"من كن فيه" حدد المحذوف وعينه فعلم الصحابة من هذا اللفظ أنها صفات وخصال يجب أن يتحلوا بها، والتعبير باسم الموصول (مَنْ) يفيد العموم، أي: كل من يتصف بهذه الصفات، يفوز بما منحه الله لأهلها من عظيم الهبات، فيشعر في قلبه بحلاوة الإيمان.

ويلاحظ أنه ـ ﷺ ـ قال: " كن فيه" ولم يقل توافرت فيه أي صرن شيئًا ثابتًا فيه وأصبحن أمرًا ملازمًا له." وجد حلاوة الإيمان "، تصعيد في التشويق، ما هذه الثلاث التي إذا توافرت في المسلم وجد حلاوة الايمان؟ هذا التحفيز والتشويق وتعظيم الأجر، وتعظيم ما يصل إليه من توافرت فيه هذه الأشياء الثلاثة، جعلت جموع الصحابة في شوق لمعرفة الأشياء الثلاثة، وأصبح كل واحد ينظر في نفسه، هل توافرت فيه هذه الأشياء أم لا؟ وأصبح كل واحد حريص أشد الحرص أن توجد فيه هذه الخلال، وأن يستكملها من ينقصه شيء منها؛ ليجد حلاوة الايمان. إذن حلاوة الايمان تحتاج إلىٰ جهاد نفسي؛ حتىٰ تستطيع أن تصيبها وأن تأثرها عندك.

فهذه المحبة هي الضالة التي يقطع المؤمن عمره وهو يتوق إلىٰ أن يجدها في قلبه، فإذا وجدها فقد وجد ضالته؛ ولذا عبر الرسول ـ ﷺ ـ بالفعل وجد فقد أطال البحث عنها للوصول إليها، فأصل الإيمان موجود في نفس كل موحد، ما دام قد نطق بالشهادتين، لكن حلاوة الإيمان تائهة في مسارب نفسه لا يهتدىٰ إليها ولا يتذوق طعمها إلا من جاهد نفسه للحصول علىٰ هذه

الثلاث، فمتىٰ انطوت نفسه علىٰ هذه الثلاث، وجد في التو واللحظة حلاوة الإيمان.

والفعل(وجد)، جاء علىٰ صيغة الماضي لإفادة التأكيد والتحقيق للفعل في الماضي، والحاضر، والمستقبل بالشروط التي اشترطها رسول الله، وفي قوله:" حلاوة الإيمان" استعارة بالكناية؛ لأن الحلاوة إنما تكون في المطعومات والمشروبات، والإيمان ليس كذلك، فشبه الإيمان بالعسل أو نحوه بجامع الالتذاذ وميل القلب، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من خواصه وهو الحلاوة، وإسناد الحلاوة إلىٰ الإيمان استعارة تخييلية، وهي القرينة، وفي هذه الاستعارة إبراز المعنويات في صورة المحسوسات بتشخيصها وتجسيمها، إذ جعل الإيمان، وهو أمر معنوي لا تدركه الحواس، في منزلة المحسوسات التي يمكن أن يتذوقها الإنسان بحواسه، فقد جعل للشيء الشيء ليس له، وقد عبر عن هذه الحالة الإيمانية والمتعة الروحية بالحلاوة؛ لأنها أظهر اللذات المحسوسة، وفي استعارة الحلاوة لهذه اللذة المعنوية سر بلاغي، وهو أن النبي ـ ﷺ ـ أراد أن يبين أن هذا الشعور الإيماني مستمر مع المؤمن في كل الأوقات، كما أن حب الحلاوة مستقر في طباع الناس في كل حياتهم، والمقصود بحلاوة الإيمان الاستلذاذ بالطاعات وتحمل المشاق في الدين. فالنبي ـ ﷺ ـ عبر عن الراحة النفسية والالتذاذ العقلي بالحلاوة، وهي مما يشتهيه الناس ويحبونه علىٰ سبيل الترغيب لهم في الإقبال علىٰ هذه الخصال.

وفي هذه الاستعارة إشعار بأن الإيمان مما تعشقه النفوس، وتستلذه القلوب، وتهواه الأفئدة؛ لأنها تجد فيه سعادتها وبهجتها، وتلمس في ظلاله

أنسها ومتعتها، ففيها تصوير لشعور المؤمن فقط، لأن هذه اللذة لذة عقلية وراحة نفسية لا يجدها إلا المؤمنون، وكأن النبي ـ ﷺ ـ يقول: إن كان أهل الدنيا يحبون الحلاوة الحسية من المأكولات، فإن المؤمنين يشعرون ويجدون حلاوة ولذة أخرىٰ لا يحس بها إلا أهل الإيمان. وهنا عبر عن ذلك الشعور بـ " الحلاوة " لا باللذة، فهذا الشعور الإيماني له في نفس المؤمن أثر اللذات الحسية. واستعارة الحلاوة لرغبة المؤمن في الإيمان[1]، فيها تلميح إلىٰ قصة المريض والصحيح؛ لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرًا، والصحيح يذوق حلاوته علىٰ ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئًا نقص ذوقه بقدر ذلك، كذلك المؤمن يجد في حب الله ورسوله، ومحبة الناس في الله، وكراهية الكفر، يجد في هذه الخصال ـ وما يترتب عليها، وما تتطلبه من صبر وتحمل وجلد ـ حلاوته في حين لا يشعر بها الآخرون من أهل الدنيا؛ لأن لذتهم مقصورة علىٰ المتع الحسية، فالمؤمن بهذا يكون قد نال الحلاوتين: الحلاوة الحسية التي يشاركه فيها أهل الدنيا من متعها ولذاتها، وفاقهم في هذه الحلاوة المعنوية والراحة النفسية، التي لا يحسها إلا أهل الإيمان. والمؤمن حين يجد هذه الحلاوة في نفسه وقلبه، تتلاشىٰ أمامه العقبات وتذلل له الصعاب، ويرىٰ الوجه الحقيقي للدنيا، ويرىٰ إشراق الإيمان، ويرىٰ في كل عمل من الأعمال رضا الله في جانب الطاعة، وسخطه

(١) يقول الطيبي: وحلاوة الإيمان استعارة. شبهت رغبة المؤمن في إيمانه بشيء ذي حلاوة، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضيف إليه علىٰ التخيلية. شرح الطيبي علىٰ المشكاة ١/ ١١٦

في جانب المعصية، وهذا الشعور الإيماني لا يحس بلذته، ولا يتذوق حلاوته إلا من رضىٰ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ـ ﷺ ـ نبيًا ورسولًا.

تأمل هذا الأسلوب التقريري الذي يحمل في ثناياه دعوة قوية إلىٰ كل إنسان، أن يحرص علىٰ التحلي بهذه الصفات وأن يتمسك بها، وإلاّ فأي أسلوب من أساليب الدعوة يعدل في قوته هذا الأسلوب، الذي يقول في إجمال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان)! ثم يأتي التفصيل للإجمال والإيضاح بعد الإبهام مما يبعث في القلب راحة ولذة وطمأنينة، وفي النفس شوقًا واستعدادًا وتهيئًا لقلبه وإدراكه، فيقول ـ ﷺ ـ: " **أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما** "، هذه الصفة الأولىٰ من صفات الذين يجدون حلاوة الإيمان، هي ـ علىٰ بساطتها ـ قانون كامل تجتمع فيه كل العبادات، فمن المعروف أن الحب يستلزم طاعة المحب لمحبوبه، والحرص علىٰ رضاه بكل وسيلة، علىٰ أن الحب هنا مشروط بأن يكون أقوىٰ الحب، وأرسخه وأدومه، فمن نتائجه المحتومة إتباع كل ما أمر به الله ورسوله، واجتناب كل ما نهىٰ عنه الله ـ عز وجل ـ ورسوله ـ ﷺ ـ.

أول ما يطالعنا من بلاغة هذه الجملة هو الفصل لكمال الاتصال حيث نزلت هذه الجملة وما بعدها، من الجملة الأولىٰ " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان "منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح والتبيين والتفصيل لما أبهم في الجملة الأولىٰ، وتلحظ في قوله " أن يكون"، استخدامه للمصدر المؤول من أن والفعل المضارع، ولعل السر في ذلك هو دلالة الفعل المضارع علىٰ التجدد، الذي يوحي بأن هذه الحالة مطلوبة في كل وقت، فالاستمرار علىٰ محبة الله ورسوله مقدم علىٰ غيره مما يكون للنفس

فيه هوىٰ، وهذا يحتاج إلىٰ تجديد ومتابعة. ويلاحظ الجناس الناقص بين قوله "كن فيه" وقوله " أن يكون" مما يضفي جرس موسيقي علىٰ لفظ الحديث.

" الله ورسوله "، فحب الرسول ـ ﷺ ـ لا ينفك عن حب الله فالرسول قد بلغ الرسالة عن ربه، وأخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، وهداهم إلىٰ طريق المجد والعزة والسعادة، وجاء بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فمحبة الله ورسوله من أعظم درجات القرب والوصول، فلا حب لله بدون حب رسول الله؛ فمحبة الله تعني الالتزام بتقواه، والالتزام بسنة حبيبه ومصطفاه ـ ﷺ ـ.

وفي قوله" أحب إليه " التعبير بصفة أفعل التفضيل، إشارة إلىٰ أن وجود المحبة في القلوب أمر فطري مجبول عليه الانسان، إذ ميله لما يوافقه أو محبته لنفسه أو أولاده أو ما يعود عليه بالنفع أمر طبيعي، لكن المطلوب هو تقديم محبة الله ورسوله علىٰ كل ما سواهما، وقد اختار الرسول مادة (الحب) دون سواها، ليؤكد وجوب الإخلاص في العبادة، وطاعة الله وطاعة رسوله ـ ﷺ ـ، وأن القلب ـ وهو مقر العقيدة، وموطن الإيمان ـ هو وحده مركز الحب ومصدره، وبهذا يستطيع أن يكون هو الموجه لنيات الإنسان وأعماله، وأن يحقق للعبادة ما يجعلها عبادة كاملة.

والتعبير بـ(مَا) دون (مَنْ) في قوله: (مِمَّا)؛ لأن (مَنْ) للعاقل، أما (مَا) فتعم العاقل وغيره، وبهذا تلحظ إعلاء درجة محبة الله ورسوله، والارتفاع بشأنها عن طريق جعل المفضل عليه عامًا يشمل العقلاء وغيرهم؛ ولذلك فهي تفيد أن الله ورسوله أحب إلىٰ المؤمن من الأهل، والبنين، والقناطير المقنطرة من

الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث، فليس محبة الله ورسوله مقدمة علىٰ النفس والأهل والولد فقط، بل مقدمة علىٰ كل ما خلا الله ورسوله، ومن لم يؤثر حب الله وطاعته، وبذل النفس والنفيس في سبيل مرضاته علىٰ كل هذه المغريات والشهوات، فلا يمكن بحال أن يجد حلاوة الإيمان في قلبه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ التوبة: ٢٤.

وللإشعار بأن محبة الله، ومحبة رسوله معتبرتان في كمال الإيمان عند المؤمن فلا تغني إحداهما عن الأخرىٰ، وأن محبة الله لا تنفصل عن محبة رسوله، ولا تنفع إحداهما دون الأخرىٰ قال: "سواهما"، فالمطلوب هنا مجموع المحبتين لا كل واحدة منهما علىٰ حدة؛ إشعارًا بأن محبة الله ورسوله معًا جزء لا يتجزأ من الإيمان، فمن يدعي حب الله ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك. فليس لأحد أن يدعي حب الله من غير أن يقتدي بحبيبه ومصطفاه، أو يدعي حب رسول الله من غير أن يطيع من اصطفاه واجتباه، فالمحبتان كلتاهما مرتبطتان، لا تنفك إحداهما عن الأخرىٰ.

(وأن يحب المرء لا يحبه لا يحبه إلاَّ لله)

يبين الرسول ـ ﷺ ـ ثاني الصفات الثلاث من الحديث، وإن روعة التعبير لتنجلي في إيثار البدء بحب الإنسان لأخيه، مع أن القصد إلىٰ تخصيص الباعث علىٰ هذا الحب بأن يكون لله! إنه إقرار للواقع الذي لا يستغني عنه

إنسان يعيش في مجتمع، ثم سمو بهذا الواقع بأن يجعله عبادة وطاعة لله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ولرسوله ـ ﷺ ـ.

وكان ممكنًا أن يقول الرسول ـ ﷺ ـ في تقرير هذه الصفة مثلًا: ألا يحب إنسانًا إلاّ لله، غير أن هذا التعبير ليس فيه ذلك الإقرار بالواقع، وليس فيه تلك الدعوة إلىٰ أن يكون المؤمن محبًا ومحبوبًا، لأن كل ما يفيده لا يعدو اشتراط أن يكون الحب لله، أما التعبير البليغ الذي آثره الرسول فهو يسمو بالواقع، ولكن بعد أن يقره ويدعو إلىٰ الحب، ولكن علىٰ أن يكون لله.

وصل النبي هذه الجملة (وأن يحب المرء) بما قبلها؛ لما بينهما من التوسط بين الكماليين وذلك لوجود الجهة الجامعة بينهما، وقصد التشريك في الحكم مع اشتراكهم جميعًا في الخبرية لفظًا ومعنىٰ، ووجود المناسبة المسوغة للعطف، ـ فمازال الحديث مستمرًا عن الصفات الثلاث ـ ولم يمنع من العطف مانع، لذلك وصل بينهما؛ ليبين أن المحبة والمودة التي تكون بين الخلق مرتبطة بمحبة الله، فالمؤمن يصرف كل أعماله لله وحده لا يدع للشيطان ولا لأي غرض من أغراض الدنيا فيها نصيب، وهذا هو الإخلاص. فمحبة الخلق عنده نابعة من محبته لله ورسوله؛ فالمؤمن يحب إخوانه المؤمنين لأجل طاعتهم لله ومحبتهم إياه.

وعبر بالمصدر المؤول " وأن يحب" من أن والفعل؛ لما في الفعل المضارع من دلالة علىٰ التجدد والحدوث، فالمحبة للمؤمن مستمرة ومتجددة مادام الحب لله مستمرًا ومتجددًا، فهو لا يحبه لذاته وإنما يحبه لله؛ فالحب في الله يجمل الحياة، وهو سبب لسعادة المؤمن في معاشه ومعاده، ويبعد العلاقات الإنسانية السامية عن المصالح الدنيوية؛ لذلك جاء

الاحتراس[1]، في قوله: " لا يحبه إلا الله"، فلا يقصد المؤمن بهذه المحبة إلا وجه الله، لا يقصد بها دنيا يصيبها، أو هدفًا يسعىٰ إلىٰ تحقيقه، أو مأربًا يبغي الوصول إليه عن طريق هذه المحبة؛ لأن المصالح الدنيوية إذا دخلت في شيء أفسدته، إذا دخلت بين الإخوة تفرقوا، وإذا دخلت بين الأحباب تعادوا وتباغضوا؛ ولذلك فإن رسول الله ـ ﷺ ـ ينبه بهذه الصفة ــ (الحب لله)، التي ينبغي أن تظلل العلاقة بين المؤمن وأخيه المؤمن ــ إلىٰ وجوب حفظ المجتمع من التصدع والانهيار، وإلىٰ وجوب تآلف المؤمنين وتوادهم وتراحمهم وتواصلهم، بحيث يقوم هذا التآلف علىٰ أساس صلب متين، لا يزعزعه تباين الأهواء، ولا ينال منه التناحر علىٰ الأطماع والشهوات؛ بل ينبغي أن يقوم علىٰ ابتغاء مرضاة الله ـ عز وجل ـ ، الذي يقول في حديثه القدسي: "حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَصَافِينَ فِيَّ"[2]، ومما ذاد في تأكيد إخلاص المحبة لله مجيء أسلوب القصر؛ حيث قصر صفة المحبة علىٰ موصوف، وهو الله عز وجل ، قصرًا إضافيًا، وكان طريق النفي والاستثناء هو أقوىٰ طريق؛ للتأكيد علىٰ أن محبة المؤمن لأخيه يجب أن تكون لغرض واحد، وهو أن تكون لله ـ عز وجل ـ.

---

(١) وهو أن يؤتىٰ في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه. الإيضاح ١١٥

(٢) كتاب الآداب للبيهقي اعتنىٰ به وعلق عليه أبو عبد الله السعيد المندوه، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، باب حقت محبتي للمتحابين في، برقم (١٧٤)، (١/ ٢١٥)، وهو صحيح.

فالقصر هنا قد أفاد التوكيد علىٰ أن إخلاص المحبة لله شرط أكيد في الحصول علىٰ حلاوة الإيمان، ولذا تراه يؤكد أصل هذه المحبة بالجملة الحالية: " لا يحبه إلا لله" ويعود الضمير فيها علىٰ المرء المحبوب في الجملة الأولىٰ؛ لينفي عن هذه المحبة أي شيء من الحظوظ البشرية، فالمحبة في قلب الذي وجد حلاوة الإيمان منذ نشأتها في قلبه مستمرة، مادام المرء الذي أحبه مستمرًا علىٰ طاعة الله.

بهذه المحبة تقوىٰ الأواصر بين أفراد الأمة، ويعيش المؤمن سعيدًا هانئًا آمنًا مطمئنًا، لا يعكر صفوه أن غرضًا من أغراض الدنيا لم يتحقق نتيجة لعلاقته بالآخرين؛ لأنه لم يقصد إلىٰ شيء من هذه الأغراض، وإنما سما بعلاقته إلىٰ حيث أراد الله، فجعلها لله وفي الله؛ حتىٰ ينعم بحلاوة الإيمان وذلك بحب الله وبالقرب منه ـ عز وجل ـ .

(وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)

يبين الصفة الثالثة من صفات الذين يجدون حلاوة الإيمان، وهي تقوم علىٰ اعتزاز المسلم بدينه، وثبات العقيدة.

وصل هذه الجملة بالتي قبلها؛ لما بينهما من التوسط بين الكماليين، وهي مرتبطة بأول الحديث" أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما." ويلاحظ تكرار استعمال المصدر المؤول من أن والفعل "وأن يكره"؛ ليفيد بذلك الاستمرار علىٰ الحب لله وفي الله، وتجدد الشكر كل يوم علىٰ نعمة الإيمان، والتعبير بقوله (يكره)؛ للدلالة علىٰ أنه لا يمكن أن يقبل ترك دينه إلىٰ الكفر إلا وهو يشعر بقبح عمله، وشناعة جرمه، وسوء مصيره.

والحب ضد الكره فحب الإيمان يقتضي كره الكفر، أي ينبغي أن يسكن بغض الكفر في قلب المؤمن، حتىٰ يجد حلاوة الإيمان. وقد زاد هذا المعنىٰ بيانًا وجلاءً ذلك الطباق البديع بين قوله: (يُحِبَّ)، وقوله: (يَكْرَهَ)، فبضدها تتميز الأشياء.

"أن يعود في الكفر"، فالمقصود بهذا التعبير أن ترك دين الله أو التفريط فيه ردة وانتكاسة مدمرة تلحق بمن يفعل ذلك؛ إذ إن العزة كل العزة والسعادة الكاملة للإنسان في هذه الحياة تكمن في كمال الإيمان بالله، فإذا ما ترك الإنسان هدىٰ ربه تردىٰ في هاوية سحيقة من الشرور والبلاء، وعاش في تعاسة وشقاء قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ طه :١٢٤.

والعودة هنا المراد بها مطلق الصيرورة إلىٰ الكفر والاستقرار فيه، والفعل يعود يتعدىٰ بـ(إلىٰ)، ولكنه تعدىٰ بـ(فِي)؛ لأنه ضُمِّن معنىٰ الاستقرار، كأنه قال: يعود مستقرًّا في الكفر، فتجده صور الكفر ظرفًا يحتوىٰ الإنسان بداخله، فيحجب عنه كل شيء ولعل السر في التعبير بـ(فِي) هو أن من يترك أنوار الهدىٰ والإيمان، يتردىٰ في غياهب الكفر والجحود، ويحتويه الكفر بظلماته، ويختم الله علىٰ سمعه، وعلىٰ قلبه، ويطمس علىٰ بصره وبصيرته، فتغلق جميع منافذ إدراكه عن رؤية أنوار الحق، ويعيش في ظلمات بعضها فوق بعض، تحيط به من كل جانب، وتسد أمامه كل سبل النجاة والفلاح؛ إذ قد تمكن الكفر منه كل تمكن، واحتواه احتواء الظرف للمظروف.

وهنا تأتي بلاغة الاستعارة في الحرف (في) علىٰ طريقة الاستعارة التبعية حيث شبه تلبس الكفر بالإنسان بتلبس الظرف بالمظروف بجامع التمكن في كل، ثم استعير تلبس الظرف بالمظروف لتلبس الكفر بالإنسان، ثم سري

التشبيه من الكليين إلىٰ الجزئيين، فاستعيرت في من جزئي من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه، علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة هي دخول الحرف (في) علىٰ الكفر.

وقد تكون استعارة مكنية، حيث شبه الكفر المتلبس بالإنسان بالظرف الحقيقي، ثم استعير الظرف الحقيقي للكفر، ثم حذف ودل عليه بشيء من لوازمه وهو (في) علىٰ سبيل الاستعارة المكنية، ودخول (في) علىٰ الكفر استعارة تخيليلة وهي قرينة المكنية.(١)، فهذه الاستعارة ساعدت علىٰ تصوير فظاعة ظلمة الكفر.

"كما يكره أن يقذف في النار"

صفة لمصدر الفعل المتقدم أي كرهًا يساوي كراهيته لأن يقذف به في النار، وإنما لم يقل: كما يكره أن يدخل النار، للإشارة إلىٰ أن أحدًا لا يدخل النار مختارًا؛ لشدة عذابها، بل لا يدخلها إلا مرغمًا يقذف به غيره فيها مهانًا كما يقذف الوقود (٢)

عبر رسول الله ـ ﷺ ـ بالتشبيه، حيث شبه كراهية المؤمن العودة إلىٰ الكفر بكراهيته أن يقذف به وسط النيران، فتحرقه ولا تبقي منه شيئًا، فكما أن الإنسان يكره أن يرمىٰ به في النار، كذلك تكون كراهيته لترك دينه أو التفريط فيه، فالمشبه هو: العود فِي الكفر، والمشبه به هو: القذف فِي النار، ووجه الشبه هو :وجدان الألم وكراهية القلب إياه، فازداد المعنىٰ بيانًا ووضوحًا، وترك أثرًا حيًّا في النفوس شاخصًا أمام القلوب والأبصار، يقوي الإيمان في قلب المؤمن؛ ليتمسك بدينه.

---

(١) يراجع مواهب الفتاح وحاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص ج٤/ ١٢٢ويراجع بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ج٣/ ١٣٥ .

(٢) صفوة صحيح البخاري ١/ ٨٥ .

ومما ضاعف أثر التشبيه في النفوس، وقوي من النفور الذي ينبعث من هذا المنظر البشع الكريه إلىٰ كل نفس؛ أن المشبه به، وهو صورة القذف في النار، لا يمكن أن يختلف أحد علىٰ أنه بغيض إلىٰ النفس. فهو شيء ملحوظ معروف، يرتعد منه الإنسان، وتنخلع من هوله القلوب، وتقشعر منه الأبدان. وهذا هو السر البلاغي للتشبيه في الحديث الشريف؛ لأنه نقل المعقول إلىٰ المحسوس. فهذه الصورة التشبيهية جسدت وصورت اشمئزاز واستقباح قلب المؤمن ـ الذي وجد حلاوة الإيمان ـ العودة إلىٰ الكفر بعد أن تفضل الله عليه وهداه إلىٰ الإيمان.

وحُذف المسند إليه الذي هو الفاعل في قوله: "يقذف" إيجازًا، ولتكون العناية متوجهة للحدث ذاته وهو القذف في النار، وفي هذا تنفير من هذا المصير المؤلم، ويوحي حذفه أيضًا بازدراء ومهانة واحتقار لكل من يفكر في العودة إلىٰ الكفر؛ لأنه بذلك يلقي بنفسه في النار لأن الكفر نار وكل ما يؤدي إلىٰ النار فهو نار.

وتأمل صيغة الأفعال (يحب) و(يكره) و (يقذف) و (يعود)، تجد أنها تدل علىٰ الاستمرار، أي استمرار حدث الفعل في المستقبل وهذه الأفعال المضارعة تدل علىٰ استمرار ثبات المؤمن الحق علىٰ عقيدته في كل وقت، لا يثنيه عنها وعيد ولا تهديد مهما يشتد، ولا يحمله علىٰ التنكر لها إغراء مهما يكن، فهو يحب لله، ويكره لله، ويفضل أن يقذف في النار علىٰ أن يعود إلىٰ الكفر بعد الإيمان.

وتجد السر في كون حلاوة الإيمان في هذه الأشياء الثلاثة فقط؛ لأنها عنوان كمال الإيمان المحصل لحلاوة الإيمان في القلب؛ فلا يتم إيمان الإنسان حتىٰ يتمكن عنده أن المنعم بالذات هو الله، ولا مانح ولا مانع سواه، وأن ما عداه وسائط، فاقتضىٰ ذلك أن يتوجه بكليته نحو الله، فلا يحب إلا ما يحبه الله، ولا

يحب من يحب إلا من أجل الله، فالحقيق بكل الحب هو الله؛ لأنه المتفرد بالإفضال والانعام ، والرسول ـ ﷺ ـ ؛ لأنه هو الذي يبين للناس مراد ربه، وهو الذي أرسله ربه ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلي نور الإيمان، فيعلم المؤمن الذي رأي نور الإيمان أن العودة إلىٰ الكفر إلقاء بنفسه في النار، فيتأكد أنه ليس هناك أغلىٰ علىٰ المؤمن من الله ورسوله وما يحبه الله ورسوله. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾آل عمران: ٣١.

والعلاقة بين المطلع والمقصد في هذا الحديث علاقة الإجمال والتفصيل، فأول الحديث وآخره يدور حول قطب واحد وهو إخلاص المحبة والطاعة لله سبحانه ولرسوله ـ ﷺ ـ.

والحديث بجملته مال إلىٰ جانب التصوير الفني الرائع في التعبير عن المعنىٰ المقصود؛ لما في ذلك من توضيح للمعنىٰ، وتسهيل لإدراكه، وتقبل النفس والقلب له، مع ترسيخه في العقل والفكر والخيال، واجتمع في هذا الحديث الألفاظ القليلة والمعاني الغزيرة، من غير تعقيد ولا تكلف، فقد أوتي الرسول جوامع الكلم؛ لذلك جمع أسلوبه بين البلاغة، والفصاحة، والنمط القريب، والطريقة المحكمة، والنظم العجيب.

ثواب محبته - ﷺ -

إن من حصل في قلبه الإيمان والتصديق بنبينا محمد - ﷺ - وامتلأ قلبه بحبه دون سواه، وأذعن بطاعته واهتدىٰ بهداه، وعظمه ووقره، كان ذلك زادًا له يؤهله لمعيته ويحشر به في زمرته، إذ إن المرء يحشر مع من أحب وأطاع واتبع.

هذه الحقيقة عندما أدركها أصحاب رسول الله هيأوا لها نفوسهم، وأفرغوا لها قلوبهم، وأصبح هدفهم أن يقطفوا ثمر ذلك كله، فلم يجد لقلوبهم طريقًا إلا حب رسول الله؛ للوصول لرفقته - ﷺ - .

فعن أنس - رضي الله عنه - **أن رجلًا أتى النبي - ﷺ - فقال: متى الساعة؟ يا رسولَ اللّه! قال: " ما أعْدَدْتَ لها؟" قال: ما أعددتُ لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أُحبُّ اللّهَ ورسولَه. قال: " أنْتَ مع مَنْ أحببْتَ" "** (١)

وفي حوار قصير، يبادر رجل الرسول - ﷺ - سائلًا " متىٰ الساعة؟ فقال له رسول الله: ما أعددت لها؟ قال حب الله ورسوله قال: أنت مع من أحببت" حوار قصير يتضمن معان كثيرة فهو يسأل متىٰ الساعة، ولا يحمل ذخيرة لهذا اليوم إلا حب الله ورسوله، وفي إجابة النبي - ﷺ - له بسؤال آخر ما أعددت لها؟ تنبيه له بضرورة إعداد نفسه لهذا اليوم العظيم، ولكن الرجل أجاب بتلقائية شديدة، وقال إنه لم يعد لهذا اليوم شيئًا إلا حب الله ورسوله، وقد لمس الرسول في إجابته الصدق؛ لذلك بشره بقوله أنت مع من أحببت، فالمحبة كفيلة بأن تجمع المحبين حتىٰ وإن قصرت بهم الأعمال، فبفضل محبته لله ورسوله استحق أن يكون مع أحبائه في الجنة، فهذا الرجل هداه الله ووفقه فعرف ماذا يقدم لمعية رسول الله - ﷺ - فقدم لذلك ما يجب نحوه من

(١) سبق تخريجه في التمهيد

الإيمان والحب والطاعة والانقياد، والتقدير والتعظيم؛ لذلك بشره رسول الله ـ ﷺ ـ بقوله " أنت مع من أحببت" إذن فهذا شرف لا يدانيه شرف وعز ليس فوقه عز، أن يكون أحدنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، بل ويكون في رفقة سيد الأولين والأخرين ﷺ .

يقول النووي عن هذا الحديث :"فيه فضل حب الله ورسوله ـ ﷺ ـ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات" (١)، فهذا الحديث يفتح بابًا للمحبين حيث أفاد جمع كل حبيب مع حبيبه وإن قصرت الأعمال.

والحديث قائم علىٰ الأسلوب القصصي، فالحوار والسؤال والجواب، هو العنصر الرئيس في إظهار البراعة والبلاغة النبوية في هذا الحديث؛ فالاستفهام الصادر من الرجل" **متى الساعة؟**" يفيد الاستبطاء وتعجل ليوم القيامة، " لأن متىٰ إنما يريد بها أن يوقت لك وقتًا، ولا تريد بها عددًا، فإنما الجواب فيه: اليوم أو يوم كذا أو شهر كذا أو سنة كذا، أو الآن، أو حينئذ أو أشباه هذا"(٢)، وهذا السؤال يبدو لأول وهلة غريبًا؛ إذ لم يسأل عن أمر يخصه في أمور دينه، بل يسأل عن قيام الساعة، والسؤال هنا يحمل علىٰ التعجب والاستغراب، إذ إن السؤال عن الساعة وموعد قيامها لم يسأل عنه إلا المشركون إنكارًا وتكذيبًا بقيامها، فلما كان السؤال غريبًا تلقاه النبي ـ ﷺ ـ بغير الجواب الذي يتوقعه فعدل عن سؤاله وأجابه بغير ما يتطلب، وذلك بسؤاله سؤالًا آخر؛ فقال النبي ـ ﷺ ـ : (**وما أعددت لها؟**)؛ لأن الأولىٰ به أن ينشغل بالاستعداد لهذا اليوم، وللتنبيه علىٰ أنه الذي ينبغي أن تتجه إليه همته

(١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ج١/ ٤٣٨

(٢) الكتاب. كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠ ه، تحقيق عبد السلام محمد هارون الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ج١/ ٢١٧.

وعنايته وليس المهم معرفة الموعد. وتوجيهه إلىٰ سؤال آخر يسمىٰ بالأسلوب الحكيم[1]، أي يوجهه إلىٰ وجهة أخرىٰ من الموضوع .

قال الإمام العيني: "سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم؛ لأنه سأل عن وقت الساعة. وأجاب بقوله ـ ﷺ ـ وما أعددت لها؟ يعني: إنما يهمك أن تهتم بأهبتها وتعتني بما ينفعك عند قيامها من الأعمال الصالحة" [2]، لقد جاء أسلوب الرسول ـ ﷺ ـ في مكانه المناسب، حيث أوقف الرجل علىٰ حقيقة القضية؛ فليست القضية ميعاد قيام الساعة لأنه أمر محسوم فالله عز وجل أخبر عن مجيئه لا محالة فقال تعالىٰ ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ النحل:١، فقد عبر عن مجيئه في المستقبل بصيغة الماضي إمعانًا في تحقق وقوعه، فالقضية إذن تكمن وراء هذا السؤال، وما أعددت لها؟ ما الذي أعددته أيها السائل لهذا اليوم؟ وذكر ابن الجوزي في كشف المشكل، قال: " وأما قصد الرسول ـ ﷺ ـ بقوله: (وما أعددت لها؟) فيحتمل شيئين: أحدهما: أن ينظر: سؤاله سؤال مكذب بها، أو خائف لها، أو راج لخيرها؟ الثاني: أن المراد تهويل أمرها، فكأنه يقول: شأنها شديد، فبما تلقاها؟ فلما تكلم بما يقتضي الإيمان ألحقه بمن يحبه لحسن نيته وقصده[3].

(١) هو صورة من صور خروج الكلام علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر، وقد عرفوه بقولهم: تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه علىٰ خلاف مراده تنبيهًا علىٰ أنه الأولىٰ بالقصد، أو تلقي السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهًا علىٰ أنه الأولىٰ بحاله أو المهم له. ينظر علم المعاني. ٢٨١

(٢) عمدة القارىٰ ٢٢/ ١٩٦، وفتح الباري ١٠/ ٥٦٠ .

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين تأليف جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. تحقيق د. علىٰ حسين البواب. دار الوطن، الرياض، ٣ / ٢٥٢

انظر إلىٰ هذا التصحيح الجميل، والأسلوب الرائع، كأنه قال له إذا عرفت أن الساعة غدًا، أو بعده، أو السنة القادمة، ما الذي يفيدك؟ أي لا يفيدك إلا ما أعددته للساعة، فصحح له السؤال. فالغرض البلاغي من هذا الجواب الحكيم، هو إرشاد السائل وصرف انتباهه إلىٰ الاستعداد ليوم الساعة، والتزود له، والانشغال بالأسباب المنجية من هوله، لا السؤال عن وقته وزمانه، فهذا مما لا يفيد المسلم كثيرًا؛ لأن علم ذلك مما اختص به الحق تبارك وتعالىٰ، وجعله غيبًا لم يطلع عليه أحد.

وفي رد السائل بقوله: **"ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة"**، يحمل هذا الجواب الكثير من المعاني منها: أن الإعداد للساعة لابد له الكثير من الصلاة والصيام والصدقة، ومنها اقتصاره علىٰ ذكر هذه العبادات ربما لكونها هي المتبادرة إلىٰ الذهن، ولأنها أسهل العبادات بخلاف الحج والجهاد، فالإحساس بالتقصير ربما إحساس في محله؛ لذلك جاءت الألفاظ:(صلاة، صيام، صدقة) نكرة؛ لتفيد التقليل الذي ظهر من خلال إحساس الرجل بالتقصير، فالرجل يعلم أن هذا اليوم العظيم يحتاج إلىٰ العمل العظيم، لكنه يعلم بحاله من التقصير؛ لذلك جاء بشفيع يجبر معه كل تقصير في الطاعات حيث قال" **ولكني أحب الله ورسوله**". في هذا الجواب بيان الأصل والسبب الموجب لفعل الطاعات، وهو المحبة ولم يذكر غيرها من العبادات القلبية والبدنية والمالية؛ لأنها كلها فروع للمحبة مترتبة عليها، ولأن المحبة هي أعلىٰ المقامات، ولأن الفرائض كلها تتضاءل أمام قوة هذا الحب.

وقول الرجل: "ما أعددت لها .....إلا أني أحب الله ورسوله"، من القصر الحقيقي الادعائي؛ لأنه منظور فيه إلىٰ الادعاء والافتراض بجعل ما عدا المقصور عليه في حكم المعدوم، وسمي هذا القصر حقيقيًا ادعائيًا، لأن القصر فيه بالنسبة إلىٰ جميع ما عداه ولو فرضًا، فإنه لابد وأنه مسلمًا، وأنه أعد للجنة الكثير من الأعمال بدءًا من الشهادة وإقام الصلاة وغيرها من العبادات، ولكنه قصر إعداده للساعة علىٰ حب الله ورسوله، وذلك لأن هذه الفرائض كلها تتضاءل أمام قوة هذا الحب.

(أنت مع من أحببت)

أجابه النبي ﷺ بإيجاز اختصارًا للكلام، وتعجيلًا بالمسرة والبشارة بهذا القول الذي يحمل البشرىٰ له ولغيره من المسلمين، والتعبير بضمير المخاطب" أنت "، فيه تخصيص لواحد بعينه يؤكد علىٰ أنه صاحب البشرىٰ وبأنه من أهل الجنة، فخاطبه بما يفيد القطع واللزوم أنت ـ أيها السائل ـ مع من أحببت، أي ملحق بمن غلب محبته علىٰ محبة غيره من النفس والأهل والمال، ومدخل في زمرته.

وفي قوله" مع " يفيد أن المعية تقتضي مكانًا تكون فيه هذه الصحبة، والمكان الذي تكون فيه صحبة النبي ـ ﷺ ـ في الأخرة هو الجنة، حتىٰ وإن اقتضت أعمالهم تفاوتًا في الدرجات إلا أن المكان الذي سيجمعهم هو الجنة، فتحققت المعية بأنه من أهل الجنة.

وفي قوله " من أحببت"، من اسم موصول يفيد العموم، وفي الأسلوب إيجاز بحذف عائد الصلة، العائد علىٰ مَنْ، والتقدير: مع من أحببته. فالإيجاز بحذف المفعول، يفيد العموم والشمول ويفتح بابًا واسعًا من الاجتماع مع

كل من أحبه من أهل الجنة. فيشمل جنس المحبين أجمعين، حيث جعل الحب في الله قاعدة يندرج تحتها كل من صفت نفسه ورقَّت مشاعره، فأخلص في هذه العلاقة وجعلها لله.

"أنت مع من أحببت "، يا لها من كلمات علىٰ الرغم من وجازتها وقلة عددها إلا أنها تحمل كمًا كبيرًا من البشارات، فالمؤمن الذي يحب الله ورسوله، ويحب المؤمنين يجمعه الله ـ عز وجل ـ بفضل هذه المحبة بهم في الجنة. قال أنس: فما فرحنا، بعد الإسلام فرحًا أشد من قول الرسول ﷺ: أنت مع من أحببت. فوجبت محبة الرسول للفوز بالوصول إلىٰ السعادة وذلك بمرافقته ـ ﷺ ـ في أعلىٰ الجنان.

إن هذا التوجيه التربوي الحكيم، وهذا الشعور الجميل، والتأثير الشديد في نفوس الصحابة، ما كان له أن يحدث ويتحقق لو أن النبي ﷺ سلك في تعبيره مسلكًا مغسولًا، فقال مثلا ردًا علىٰ جواب السائل (لا أعلم، فهي من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله)؛ لكنه ﷺ داعية ومرب لا يدع سانحة إلا ووظفها في التوجيه والإرشاد والتقويم، كما أن بلاغته ـ ﷺ ـ تأبىٰ إلا أن تأخذ بمجامع العقول والقلوب فتجمع بين الإفادة والإمتاع في آن واحد.

❁❁❁❁❁

المبحث الرابع: حق التوقير للنبي وتعظيمه والصلاة عليه ـ ﷺ ـ

واجب علينا توقيره ـ ﷺ ـ وتعظيم شأنه، احترامًا وإكبارًا لكل ما تعلق به من اسمه، وحديثه، وسنته، وآل بيته، وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ ،وكل ما اتصل به ـ ﷺ ـ من قريب أو بعيد. فمن توقيره ألا يكون الرسول كأحدهم، بل يميزونه في خطابهم كما تميز عن غيره في وجوب حقوق له علىٰ الأمة، كما أن الأدب معه من أسباب حصول الثواب وقبول الأعمال.

فالله تعالىٰ أخبر عباده بمنزلة نبيه ـ ﷺ ـ فجعل الملائكة في العالم العلوي تصلي عليه، ثم أمر أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع عليه الثناء من أهل العالمين العلوي والسفلي معًا.

إن الصلاة علىٰ النبي ـ ﷺ ـ لها عند الله أجر كريم، وفضل عميم، فهي تنجىٰ من الهم، وتزيل الكرب والغم، وتبارك في العمر، وترفع في الدرجات، وتزيد في الحسنات؛ لذلك كان الصحابة ـ رضوان الله تعالىٰ عليهم ـ حريصين علىٰ معرفة صيغتها، والتحقق من طريقتها، حتىٰ يعملوا بها، ويحافظوا عليها، وامتثالًا لأمر الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ الأحزاب: ٥٦، سألوا النبي ـ ﷺ ـ عنها فأخبرهم كيف يصلون عليه رحمة بهم، وحبًا لهم، وقد صرح الحديث الصحيح بطلبهم وبرغبتهم في معرفة كيفية الصلاة عليه، حيث قال الصحابة فيما جاء في الصحيح" يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال فقولوا: **اللهم! صَلِّ عَلَى مُحمدٍ وآل محمد كما صليتَ عَلَى إبراهيم وبارك عَلَى مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد**" (١)

(١) سبق تخريجه في التمهيد.

صدر النبي ـ ﷺ ـ هذا الدعاء بقوله (اللهُمَّ) وهي" كلمة كثر استعمالها في الدعاء، وهي بمعنىٰ يا الله والميم عوض عن حرف النداء.

ومن الملاحظ أن النبي ـ ﷺ ـ يكثر من تصدير دعاءه بقوله " اللهمَّ " حتىٰ أصبحت سمة بارزة من سمات البيان النبوي، والسر في ذلك يرجع إلىٰ أمرين:

الأول: الإيحاء بقرب المدعو ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وذلك عن طريق حذف حرف النداء والتعويض عنه بحرف الميم.

الثاني: تعظيم المنادىٰ ـ عز وجل ـ بالدلالة علىٰ جمعه لجميع الكمالات المرموز إليه بالميم المشددة.

ولما كان الأمر المدعو به في هذا الحديث وهو طلب الصلاة علىٰ رسول الله ـ ﷺ ـ أمر من الأهمية بمكان؛ فإن النبي ـ ﷺ ـ صدر هذا الدعاء بقوله: " اللهمَّ " أملًا في تحقيقه، وسعيًا في حصوله.

والأمر في قوله " صلِ، وبارك " خرج عن معناه الحقيقي وأريد به معنىٰ الدعاء؛ لأنه طلب من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ منزلة، فهو طلب من رسول الله ـ ﷺ ـ ، ثم عامة المؤمنين إلىٰ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ سبيل التضرع والخضوع.

ومعنىٰ قوله " **اللهُمَّ صلِ على محمد**" أي ارحمه رحمة مقرونة بتعظيم لائق بمقامه الذىٰ لا يعلمه إلا أنت "[1]، وقيل معناه " أي عظِّمَهُ في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفىٰ الآخرة بإجزال مثوبته،

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. محمد بن علان الصديقي، تحقيق جمعية النشر والتأليف الأزهرية، الناشر: دار الكتاب العربي. ٤/ ٢٠٥.

وتشفيعه في أمته، وإبداء فضيلته بالمقام المحمود، ولما كان البشر عاجزًا عن أن يبلغ قدره الواجب له، شرع لنا أن نحيل أمر ذلك علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ بأن نقول اللهم صلِ علىٰ محمد؛ لأنك أنت العالم بما يليق به من ذلك "[1].

وتلحظ أن النبي ـ ﷺ ـ وضع المظهر موضع المضمر في قوله: "**وآل محمد**"، والأصل (وآله) لتقدم ذكره؛ وذلك للتأكيد علىٰ أن استحقاقهم للرحمة إنما هو بفضل النبي ـ ﷺ ـ يقول الإمام السندي: " لعل وجه إظهار محمد في قوله "وآل محمد" مع تقدم ذكره هو أن استحقاق الآل بالاتباع لمحمد فالتنصيص علىٰ اسمه آكد في الدلالة علىٰ استحقاقهم "[2].

" **كما صليت على إبراهيم** "، فالتشبيه الوارد في هذا الحديث يعتبر من التشبيهات التي اختلف العلماء في توجيهها، وبيان المراد منها اختلافًا كثيرًا، وأشكل عليهم فهم المقصود منه إشكالًا كبيرًا، وسبب هذا الإشكال هو أن المتعارف عليه في البلاغة، أن المشبه به يكون أقوىٰ في الصفة من المشبه؛ لذلك يلحق المشبه بالمشبه به، ويقاس عليه حتىٰ يستمد منه إبراز صفته، وإظهار خصيصته؛ لذلك لابد أن يكون المشبه به أفضل من المشبه وأن تكون الصفة التي من أجلها قام التشبيه أقوىٰ في المشبه به من المشبه.

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، تأليف الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني، ضبطه وصححه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٦هـ ١٩٩٦م . ٩/ ٢٠٤، وينظر عمدة القارئ للعيني ١٢/ ٤٢٤

(٢) حاشية السندي علىٰ صحيح البخاري، لمحمد بن عبد الهادي السندي، الناشر دار الفكر ٣/ ٤٦

وعندما تنظر إلىٰ التشبيه الوارد في هذا الحديث تجد أنه خالف هذا الأصل، وناقض ما قرره علماء البلاغة؛ لأن النبي ـ ﷺ ـ شبه الصلاة عليه ـ والتي أراد من المؤمنين أن يطلبوها له ـ بالصلاة علىٰ سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ومما لا شك فيه أن النبي محمدًا ـ ﷺ ـ أفضل عند الله من سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وهذا هو ما عليه جماهير الأمة مصداقًا لقول الرسول ـ ﷺ ـ في الحديث الذىٰ رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ حيث قال : "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع"(١)، والصلاة علي النبي ـ ﷺ ـ، لابد أن تكون كذلك أفضل من الصلاة علىٰ سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ، إذا كيف يشبه النبي ـ ﷺ ـ الفاضل بالمفضول، أو بما فيه الصفة أقوىٰ بما فيه الصفة أضعف؟

لذلك وقف العلماء أمام هذا التشبيه وذكروا له أجوبة عدة؛ لكي يتأولوه ويردوه علىٰ ما هو معلوم ومقرر عند علماء البلاغة، وهذه الأجوبة كثيرة منها:

الأول: "أن معناه صل علىٰ محمد، وتم الكلام هنا، ثم استأنف وعلىٰ آل محمد، أي وصل علىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم، فالمسئول له مثل إبراهيم وآله، هم آل محمد لا نفسه"(٢).

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب (تفضيل نبينا علىٰ جميع الخلائق) صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ٢٣٣ ، وأبو داود في كتاب (السنة) باب (في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) ٤/ ٢١٨ .

(٢) تنوير الحوالك شرح علىٰ موطأ مالك للإمام السيوطي ، ت: محمد عبد العزيز الخالدي ،دار الكتب العلمية ١/ ١٨٠

الثاني: معناه أجعل لمحمد وآله صلاة منك، كما جعلتها لإبراهيم وآله، فالمسئول المشاركة في أصل الصلاة لا قدرها"[1].

الثالث: أن بعضهم قال: كان ذلك قبل أن يبين الله حاله ومنزلته[2].

الرابع: أن التشبيه وقع للمجموع؛ لأن مجموع آل إبراهيم أفضل من مجموع آل محمد؛ لأن في آل إبراهيم الأنبياء بخلاف آل محمد"[3].

الخامس: أنه قال هذا تواضعًا.

السادس: أن هذا ليس من باب إلحاق الناقص بالكامل؛ بل من باب بيان حال ما لا يعرف بما يعرف، وما عرف من الصلاة علىٰ إبراهيم وآله وأنه ليس إلا في قوله تعالىٰ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ هود: ٧٣[4]

هذه هي بعض الأجوبة التي ذكرها العلماء لتوجيه هذا التشبيه، وعندما تتأمل هذه الأجوبة تجد أن أولاها بالقبول، وأقربها إلىٰ الصواب هو الجواب الأخير، وهو أن هذا التشبيه من قبيل تشبيه ما لا يعرف بما يعرف، أو تشبيه ما لم يشتهر بما اشتهر، والواقع يدل علىٰ ذلك، فإبراهيم عليه السلام أسبق في الوجود من محمد ـ ﷺ ـ ، والصلاة عليه وعلىٰ آل بيته أسبق، بالإضافة إلىٰ

---

(١) المصدر السابق، ١/ ١٨٠

(٢) صحيح الترمذي بشرح أبىٰ بكر بن العربي ٢/ ٢٧٠ ٠

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ ١٨/ ١٥١ ، وينظر :عمدة القارئ ٠ للعينىٰ ١٨/ ٣٧٢

(٤) عمدة القارىٰ للعيني ٤٢٤/ ١٢ ٠

أن هذه الصلاة معروفة مشهورة، يعرفها القاصي والداني، وهيٰ التي جاء بها القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ هود: ٧٣.

وعلىٰ هذا فمعنىٰ التشبيه كما تقدمت منك يا رب صلاة علىٰ إبراهيم وآله، صل كذلك علىٰ محمد وآله، فالمطلوب أن يكون هناك صلاة علىٰ محمد وآله، كما كان هناك صلاة علىٰ إبراهيم وآله، وليس معنىٰ هذا أن تكون الصلاتان متساويتين في المقدار، بل الصلاة علىٰ محمد وآله ستكون حتما أفضل من الصلاة علىٰ إبراهيم وآله؛ وذلك لفضله وعظيم مكانته، ورفيع منزلته عن منزلة إبراهيم عليه السلام.

وممن ذهب إلىٰ ترجيح هذا الجواب الإمام ابن حجر حيث قال :"لما كان تعظيم إبراهيم، وآل إبراهيم بالصلاة عليهم مشهورًا واضحًا عند جميع الطوائف حسن أن يطلب لمحمد، وآل محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لإبراهيم وآل إبراهيم،"[1]، وكذلك ذهب إلىٰ ترجيحه الإمام ابن علان حيث يقول: "في هذا التشبيه وجوه كثيرة نحو العشرين أودعتها في شرح الأذكار، أقربها أنها من باب التوسل إلىٰ الفضل بالفضل، أي تفضل علىٰ حبيبك وخليلك كما تفضلت علىٰ خليلك، ولا شك أن تفضله علىٰ الخليل سابق في عالم الشهادة علىٰ تفضله علىٰ الحبيب الخليل - ﷺ - "[2] .

(١) فتح الباري ٢٣/ ١٩٠ .

(٢) دليل الفالحين ٤ / ٢٠٥ .

وعلىٰ هذا يكون المشبه هو الصلاة المطلوبة لمحمد ـ ﷺ ـ وآله، والمشبه به هو الصلاة علىٰ إبراهيم ـ عليه السلام ـ وآله، ووجه الشبه هو الشهرة وتمام الظهور في كل بالإضافة إلىٰ الاشتراك في أصل الوجود كذلك ، وهو من قبيل المفرد العقلي، والغرض من وراء هذا التشبيه هو بيان حال المشبه، أي بيان أن الصلاة المطلوبة لرسول الله ـ ﷺ ـ إنما هي مثل الصلاة علىٰ إبراهيم عليه السلام.

وخص النبي محمد ـ ﷺ ـ إبراهيم ـ عليه السلام ـ دون غيره من الأنبياء؛ لأنه كان معلومًا بعموم الصلاة له، ولأهل بيته علىٰ لسان الملائكة، ولهذا ختم بقوله: "إنك حميد مجيد" كما ختمت الملائكة صلاتهم علىٰ أهل بيت إبراهيم بذلك"[1]، هذا بالإضافة إلىٰ أنه أبو الأنبياء، وأفضلهم بعد النبي ـ ﷺ ـ، كما أنه خليل الرحمن، و له كثير من المناقب والفضائل ـ عليه السلام ـ؛ لذلك اختصه سيدنا محمد ـ ﷺ ـ بالذكر دون غيره من سائر الأنبياء.

أما المراد بقوله " **اللهم بارك على محمد** " الزيادة من الخير والبركة، وقيل المراد التطهر من العيوب والتزكية، وقيل المراد إثبات ذلك، واستمراره من قولهم بركت الإبل أي ثبتت علىٰ الأرض "[2].

وقدم ـ ﷺ ـ الدعاء بالصلاة عليه علىٰ الدعاء بالبركة؛ لأهمية الصلاة عليه ـ ﷺ ـ لأنها رحمة من الله له، وثناء عليه، وهل هناك أعظم من رحمة الله لعبد

(١) حاشية السندي ٣ / ٤٦ .

(٢) فتح الباري. لابن حجر ٢٣/ ١٩١.

من عباده؟ إن رحمة الله هي طريق النجاة، وسبيل السعادة في الدنيا والآخرة. كما قدمها النبي ـ ﷺ ـ لأن الأمر بها جاء في القرآن الكريم دون الأمر بالبركة. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ الأحزاب: ٥٦، وهذا يدل دلالة قاطعة علىٰ أهميتها وعظيم شأنها للنبي ـ ﷺ ـ، وعامة المؤمنين؛ لذلك قدمها علىٰ الدعاء بالبركة.

يخاطب النبي ـ ﷺ ـ ربه بأبلغ العبارات، فيثنىٰ عليه بما هو أهل له فيقول: "**إنك حميد مجيد**"

يستخدم أسلوب التوكيد (إنَّك)، وهذا التوكيد جاء لإبراز معتقد نفس النبي ـ ﷺ ـ، وإبراز معتقد كل داع يدعو بهذا الدعاء، فالتوكيد ليس منظورًا فيه إلىٰ حال المخاطب ـ جل وعلا ـ، وإنما هو بيان لثبات هذه العقيدة في النفس، وتمكنها من القلب. هذا التمكن الذىٰ يزيد الداعي إقبالًا علىٰ ربه، ورجاء في نيل مطلوبه لنبيه ـ ﷺ ـ، فعندما يبرز الداعي هذه العقيدة المستقرة في نفسه، ويعلنها أكيدة مقررة في قلبه؛ لكىٰ يبين مزيد ثقته في ربه، وقوة طمعه في فيوضات رحمته، لا شك أن ذلك أدعىٰ إلىٰ تحقيق مطلوبه، وإجابة دعائه من الصلاة والبركة علىٰ محمد وآله ـ ﷺ ـ؛ لذلك كان إبراز هذه العقيدة في هذا الموطن في غاية البلاغة، وقوة البيان من النبي ـ ﷺ ـ، لأنه موطن دعاء، وهو أحوج ما يكون إلىٰ إبراز عقيدة النفس ويقين القلب، حتىٰ يتحقق المطلوب، ويعظم نيل المرغوب.

وتعريف المسند إليه هنا بضمير الخطاب (إنك) يفيد مدىٰ قرب الحق ـ سبحانه وتعالىٰ ـ من قلب نبيه، ومدىٰ تعلق فؤاده به، ومدىٰ حبه له، وحضوره

في نفسه بحيث لا يغيب عنه طرفة عين، فمن المعلوم أن الله غيب، وأنه غير مشاهد ولا محسوس، وأن أنسب طريق للتعبير عن ذات الحق ـ سبحانه وتعالىٰ ـ هو ضمير الغائب مثل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الإخلاص: ١، ولكن عدول النبي ـ ﷺ ـ عن ضمير الغائب إلىٰ ضمير الخطاب (إنك)؛ بين مدىٰ محبة النبي لربه، هذه المحبة التي جعلت النبي ـ ﷺ ـ يخاطب ربه بضمير الخطاب وكأنه واقف في ساحته يراه رأىٰ العين، فضمير الخطاب هنا أبرز مدىٰ محبة المؤمن لربه، ومدىٰ تعلق فؤاده به، وهو يخاطبه بهذا الخطاب في صلواته آناء الليل وأطراف النهار؛ لذلك كان تعبير النبي ـ ﷺ ـ بضمير الخطاب (إنك)، أنسب دون غيره في بيان حبه لربه، ومدىٰ حضوره في نفسه وقلبه، وبخاصة في هذا المقام، والذىٰ أكرمه الله فيه بالصلاة عليه.

ونكر النبي ـ ﷺ ـ المسند (حميد مجيد)؛ لإفادة التعظيم، فالله أعظم محمود وأكمل معبود، فهو الذىٰ عظم في ذاته، وكمل في صفاته، وعلا جاهه، وبلغ الغاية في عزه ومجده وشرفه؛ لذلك كان التنكير هنا دالًا علىٰ عظمة الله، وكمال مجده، والمبالغة في عزه وشرفه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

وزيادة في المبالغة في هذا التعظيم لصفتي الحمد والمجد تلحظ أن النبي ـ ﷺ ـ أتىٰ بهاتين الصفتين علىٰ وزن فعيل فقال (إنك حميد مجيد)، وذلك لأن فعيل من الأوزان التي تدل علىٰ المبالغة في الشيء؛ فالحميد فعيل من الحمد، وهو بمعنىٰ محمود، وهو من حصل له من صفات الحمد أكملها، وقيل هو بمعنىٰ الحامد، أي يحمد أفعال عباده، وهو أبلغ من المحمود، فإن فعيل إذا

عدل به عن مفعول دل علىٰ أن تلك الصفة قد صارت مثل السجية والغريزة والخلق اللازم.

قال الخطابي: هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وهو فعيل بمعنىٰ مفعول، وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمود علىٰ كل حال(١).

قال الإمام الغزالي: " هو المحمود المثنىٰ عليه، والله ـ عز وجل ـ هو الحميد بحمده لنفسه أولًا، وبحمد عباده له أبدًا، ويرجع هذا إلىٰ صفات الجلال والعلو والكمال منسوبًا إلىٰ ذكر الذاكرين له، فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال لمن هو كمال(٢)

أما اسم الله المجيد فهو من المجد، وهو مبالغة من ماجد، وهو صفة من كمل في الشرف، وهو مستلزم للعظمة والجلال"(٣)، وهو : الواسع الكريم، وأصل المجد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد إذا كان سخيًا واسع العطاء"(٤)، وقال الإمام الغزالي: "هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه ونواله فكأن شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجدًا (٥).

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي بجدة طبعة أولىٰ ١٤١٣هـ١٩٩٣م، ١/ ١٦٠

(٢) المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ للغزالي تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، طبعة الجفان والجابي، قبرص طبعة أولىٰ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ١/ ١٣٠

(٣) فتح الباري لابن حجر ٢٣/ ١٩٢ ٠

(٤) الأسماء والصفات ١/ ١١١، ١١٢

(٥) المقصد الأسنىٰ ١/ ١٢٣

وعلىٰ هذا تكون الجملة: إنك حميد مجيد: جملة تعليلية لطلب الصلاة، أي لأنك محمود، ومن محامدك إفاضتك بأنواع العنايات وزيادة البركات علىٰ نبيك، الذي تقرب إليك بامتثال ما أهلته له من أداء الرسالة، ومحمد ﷺ من أحق عبادك بحمدك وقبول دعاء من يدعو له ولآله، ولعل هذا أنسب بالمقام.

وإنما ختم النبي ﷺ دعاءه بهذين الاسمين العظيمين دون سواهما؛ لأن الحميد سبحانه هو الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودًا وإن لم يحمده غيره فهو حميد في نفسه، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين، وهكذا المجيد.

والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببته ولم تثن عليه لم تكن حامدًا له، وكذا من أثنيت عليه لغرض ما، ولم تحبه لم تكن حامدًا حتىٰ تكون مثنيًا عليه محبًا له، وهذا الثناء والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال، ونعوت الجلال والإحسان إلىٰ الغير، فإن هذه هي أسباب المحبة وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل كان الحمد والحب أتم وأعظم.

وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال التي يحمد من أجلها؛ ولهذا جمع سبحانه بين هذين الاسمين قال تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ هود: ٧٣[1].

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ خير الأنام لابن القيم تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، طبعة دار العروبة، الكويت طبعة ثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

أما تقديم الحميد علىٰ المجيد؛ فلأن الحمد معناه الإكرام والإنعام، وخير ما يكرم به النبي ـ ﷺ ـ هو الصلاة عليه وعلىٰ آله وهذا مضمون معنىٰ الحمد؛ لذلك أتىٰ مقدمًا، ثم يأتي بعد ذلك طلب الزيادة؛ طمعًا في العطاء من المجيد الموصوف بسعة الكرم .

وترك النبي ـ ﷺ ـ العطف بين الصفتين فقال (إنك حميد مجيد) بدون واو العطف متابعة للنسق القرآني في إيراده أسماء الله الحسنىٰ بلا عطف إذا لم يكن بينها تقابل، أو تضاد وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الحشر: ٢٣، وترك العطف بين هاتين الصفتين، يبين شدة تلازمهما، وقوة تلاؤمهما، حتىٰ صح ترك العطف بينهما، لأن العطف كما هو معلوم يقتضىٰ المغايرة، وهاتان الصفتان ليس بينهما مغايرة، بل هما متكاملتان، فالحميد يستلزم الإكرام، والمجيد يستلزم زيادة هذا الإكرام.

ولما كانت الصلاة علىٰ النبي ـ ﷺ ـ وهي ثناء الله تعالىٰ عليه، وتكريمه، والتنويه به، ورفع ذكره، وزيادة حبه وتقريبه، كانت مشتملة علىٰ الحمد والمجد؛ فكأن المصلي طلب من الله تعالىٰ أن يزيد في حمده ومجده، فإن الصلاة عليه هي نوع حمد له وتمجيد، هذا حقيقتها فذكر في هذا المطلوب الاسمين له وهما أسماء الحميد المجيد.

---

٤ / ١٤٥، وأسماء الله الحسنىٰ في الكتاب والسنة، د. محمود عبد الرازق الرضواني، طبعة أولىٰ ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م. ١/ ٢١٣، ٢١٤

وجملة" إنك حميد مجيد" تذييل أتىٰ به النبي ـ ﷺ ـ لتأكيد الجملة قبله، وهي تذيل جاري مجرىٰ المثل؛ لأن الجملة الثانية والتي جاءت تذييلًا مستقلة بمعناها عن الجملة الأولىٰ، فهي لا تحتاج في إفادة معناها إلىٰ الجملة السابقة عليها.

قال الإمام القسطلاني " إنك حميد مجيد" هذا تذييل للكلام السابق وتقرير له علىٰ سبيل العموم، أي إنك حميد فاعل ما تستوجب به الحمد من النعم المتكاثرة، والآلاء المتعاقبة المتوالية. مجيد كريم الإحسان إلىٰ جميع عبادك الصالحين، ومن محامدك وإحسانك أن توجه صلواتك وبركاتك وترحمك علىٰ حبيبك نبي الرحمة وآله"(١).

"فالغرض من التسليم والصلاة تكريم الله لنبيه، وثناؤه عليه والتنويه به، وزيادة تقريبه وذلك مما يستلزم طلب الحمد والمجد، ففي ذلك إشارة إلىٰ أنهما كالتعليل للمطلوب، أو هو كالتذييل له، والمعنىٰ أنك فاعل ما تستوجب به الحمد من النعم المترادفة، كريم بكثرة الإحسان إلىٰ جميع عبادك"(٢)

فاللهم صلىٰ علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل سيدنا محمد كما صليت علىٰ سيدنا إبراهيم وعلىٰ آل سيدنا إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل سيدنا محمد كما باركت علىٰ سيدنا إبراهيم وعلىٰ آل سيدنا إبراهيم، إنك حميد مجيد.

❁❁❁❁❁

(١) إرشاد الساري ٩/ ٢٠٥ ٠

(٢) فتح الباري لابن حجر ٢٣/ ١٩٢ ٠

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبوافر فضله تكتمل الأعمال، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين.

وبعد:

فقد عشت في رحاب البيان النبوي من خلال الحديث عن الحقوق الواجبة للنبي ـ ﷺ ـ علىٰ أمته وقد تم التوصل إلىٰ عدة نتائج وهي:

١. أن هذه الحقوق فرضها الله، وجعلها أمرًا لازمًا علىٰ هذه الأمة لرسوله الكريم، الذي أرسله رحمة للعالمين؛ لإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور؛ فيجب علىٰ الأمة أن تعرف هذه الحقوق لتؤديها علىٰ أكمل وجه؛ لأن التقصير فيها تقصير في كمال الإيمان.

٢. أن هذه الحقوق جاءت علىٰ لسان صاحبها، فالرسول ـ ﷺ ـ هو من يخبرنا بحقوقه الواجبة علينا تجاه ـ ﷺ ـ ؛ لذلك جاءت في أعلىٰ درجات البيان البشري، واستخدم في بيان وجوبها أبلغ الأساليب التي من خلالها يفطن السامع إلىٰ أهمية الأمر؛ وذلك من خلال صياغة بلاغية تميزت بالإجمال ثم التفصيل، وفيه تمكين المعاني وتقريرها، والمعاني حينما ينبه إليها ويهيئ المخاطب لتلقيها، فإنها تستقر في وجدانه، وترسخ في فؤاده، وذلك إنما يكون في الأمور الهامة التي يحرص المتكلم علىٰ إفهام المخاطب إياها، وتثبيتها وترسيخها في وجدانه. ولا شك أن تعريف الأمة بالحقوق الواجبة عليها لنبيها ـ ﷺ ـ أمر في غاية الأهمية. فمثلًا يستخدم النبي أسلوب التوشيع ليشوق المخاطبين للوصول لحلاوة الإيمان التي تتحقق بمحبته ـ ﷺ ـ.

٣. كان للإيجاز بالحذف، دورًا بارزًا في إظهار تلك الحقوق؛ لتعرف وتحفظ ويتم تطبيقها. فتجد حذف المسند للتعظيم، وحذف فعل الإغراء

إيجازًا، وحذف المسند إليه للعلم به، أو لتوجيه الاهتمام للحدث، وحذف المفعول ليفيد العموم والشمول. ونكر النبي ـ ﷺ ـ المسند وذلك لإفادة التعظيم، والتقليل، والشيوع، كل في سياقه. وعرَّف المسند إليه هادفًا بذلك إلىٰ استحضار صورته في ذهن المخاطب. ووضع الاسم المظهر موضع المضمر تربية للمهابة في نفس كل مخاطب يبتغي بأعماله وجه الله ـ عز وجل. أو لتأكيد رسالة النبي ـ ﷺ ـ وتثبيتها في القلوب، وللتأكيد علىٰ عظمتها، وبيان أهميتها في إسلام الفرد، وصحة إيمانه.

٤. استعمل الرسول في بيان حقوقه أسلوب القصر بأنواعه المختلفة، فتجد قصر صفة علىٰ موصوف، وقصر الإفراد حقيقي تحقيقي؛ والقصر الحقيقي الادعائي. والقصر الإضافي، وكان طريق النفي والاستثناء هو أنسب طرق القصر؛ لأن المقصود هو إثبات هذه الحقوق ثبوتًا يقينيًا، وليس هناك أفخم ولا أقوىٰ من طريق النفي والاستثناء في اقتلاع الشك، وثبوت هذه الحقوق، وحمل النفوس علىٰ الإقرار بها. كما كان الأسلوب القصصي، والحوار والسؤال والجواب بالأسلوب الحكيم عنصر رئيس في بيان ثواب محبة النبي ـ ﷺ ـ.

٥. استخدم الرسول ـ ﷺ ـ الأساليب الإنشائية والتي خرجت لمعاني مجازية كأسلوب الأمر الذي أريد به الدعاء. كما استعمل الرسول ـ ﷺ ـ الأساليب الخبرية والفصل والوصل، وقد وظَّف كلًا في إبانة مقصوده؛ لإيضاح المعاني وتوكيدها بما يتناسب مع ما يريد، كذلك استعمل أسلوب الاحتراس، الذي كان له دور في توضيح المقصود، وعبر بالاسم الموصول (مَنْ، ما) ليفيد العموم، كما استعان بأسلوب القسم والمبالغة بغرض التأكيد

علىٰ ما يريده، واستعمل صيغة الماضي لإفادة التأكيد والتحقيق، وصيغة المضارع لإفادة التجدد والاستمرار.

٦. تجد النبي ـ ﷺ ـ يستخدم الإفهام عن طريق تعابير الوجه وظهر ذلك جليًا عندما قام فخطب مع ملاحظة ملامح وجه ـ ﷺ ـ عندما يخطب ليعكس غضبه ـ ﷺ ـ وإنكاره لمن يخالفه. ويستفهم بصيغة (ما بال) التي تعكس تعجبه وإنكاره علىٰ الذين تشددوا في الدين وتركوا الأخذ بالرخصة، ويحرص معلم البشرية علىٰ توجيه نصيحته لمن خالفه، ومن حسن معاشرته، وأدبه ترك مواجهة الناس بما يكرهون وبتسميتهم بأسمائهم علىٰ رؤوس الجميع، وتوبيخهم معينين، بل أبهم الأمر؛ لأن المراد إزالة المنكر، وتسليط الإنكار علىٰ الفعل؛ لئلا يتكرر وقوعه مرة أخرىٰ.

٧. استخدم الرسول صورة المثل؛ ليوضح حرصه علىٰ هداية قومه، وذلك عن طريق إقامة الحجة بالاعتماد علىٰ الصورة التمثيلية، التي تلفت النظر إلىٰ الحقيقة بناء علىٰ وجه الشبه الرابط بين الممثل له والممثل به. كما استعمل التشبيه الذي ساعد علىٰ توضيح الصورة بنقل المعقول إلىٰ المحسوس، وتشبيه ما لا يعرف بما يعرف وذلك في بيان كيفية الصلاة عليه. وكان للاستعارة المكنية، والاستعارة التبعية حضور في إظهار حق المحبة لرسول الله. واستعمل الكناية في تصوير سرعة نجاة الطائعين، وتصوير إعراض المكذبين.

٨. استخدم النبي ـ ﷺ ـ المحسنات البديعية ليزداد بها حديثه جمالًا وتأثيرًا فأتي بالمحسن البديعي المعروف بالجمع مع التقسيم؛ لبيان أقسام الناس في قبول دعوته وكذلك تراه يأتي بأسلوب المقابلة ليقابل بين من أطاعه وكيف كان جزاءه، وبين من عصاه وكيف كان عقابه، وتري المطابقة ببين

الحب للإيمان والكره للكفر، وكذلك المحسن البديعي اللفظي الجناس الناقص. وكانت ألفاظ الأحاديث تتميز بالسهولة والعذوبة ووضوح الدلالة علىٰ المعنىٰ المراد وهو ثبوت هذه الحقوق للنبي ـ ﷺ ـ والقيام بأدائها علىٰ أكمل وجه.

وبعد:

فهذا هو عملي وجهدي في هذا البحث، فان كان فيه من توفيقٍ، فمن الله، وإن كان فيه غير ذلك، فمن نفسي المخطئة، واللهَ أسألُ أن يجعلَ هذا العمل خالصًا لوجهه، نافعًا لمن قرأه واطلع عليه، والحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الآداب للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي اعتنىٰ به وعلق عليه أبو عبد الله السعيد المندوه، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري تأليف الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني، ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي، الطبعة الأولىٰ: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان. ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٣. أساس البلاغة تأليف جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري تقديم أ. د محمود فهمي حجازي الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٤. استثمار الأسلوب العدولي في تذوق النص القرآني، أ. د. عيد محمد شبايك، مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد الثامن، يناير ٢٠٠٤م.

٥. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت. محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة.

٦. أسماء الله الحسنىٰ في الكتاب والسنة، د. محمود عبد الرازق الرضواني، طبعة أولىٰ ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.

٧. الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق، عبد الرحمن الحاشدي، طبعة أولىٰ. مكتبة السوادي بجدة.

٨. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع مختصر تلخيص المفتاح، تأليف الخطيب القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضىٰ القضاة سعد الدين أبي محمد بن عبد الرحمن القزويني، مكتبة ومطبعة علىٰ صبيح وأولاده بميدان الأزهر ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٩. البلاغة الغنية، أ. د. علىٰ الجندي ط الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦.

١٠. تفسير البيضاوي المسمىٰ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي حققه د. محمد عبد الرحمن المرعشلي، الشيخ محمد محي الدين الأصفر. ط. دار إحياء التراث العربي.

١١. تنوير الحوالك شرح علىٰ موطأ مالك للإمام السيوطي، ت: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية.

١٢. الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، ت: زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولىٰ. دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

١٣. الجامع لشعب الإيمان. تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٣٨٤هـ - ٤٥٨هـ أشرف علىٰ تحقيقه وتخريج أحاديثه مختار أحمد النروي، مكتبة الرشد.

١٤. جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ خير الأنام لابن القيم تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، طبعة ثانية، دار العروبة، الكويت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٥. جمهرة الأمثال لأبىٰ هلال العسكري تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، ط الثانية، دار الجيل ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٦. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تأليف العلامة أحمد الهاشمي. تحقيق وحيد قطب، دار التوفيقية للتراث، القاهرة.

١٧. حاشية السندي علىٰ صحيح البخاري لمحمد بن عبد الهادي السندي، دار الفكر.

١٨. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أ.د. محمد محمد أبو موسىٰ، الطبعة التاسعة، مكتبة وهبة، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.
١٩. دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ.د. محمد أبو موسىٰ، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
٢٠. دلائل الأعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه الشيخ محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية للكتاب ،٢٠٠٠م.
٢١. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. محمد بن علان الصديقي، تحقيق: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، دار الكتاب العربي.
٢٢. ديوان الإمام الشافعي المسمىٰ الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، بدون. ت. ط.
٢٣. الرسالة للإمام المُطَّلِبِي محمد بن ادريس الشافعي ت ١٥٠- ٢٠٤هـ تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٢٤. شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمة الكلام الأول، أ.د. محمد أبو موسىٰ الطبعة الثانية مكتبة وهبة القاهرة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
٢٥. شرح الطيبىٰ علىٰ مشكاة المصابيح المسمىٰ بالكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي تحقيق: أ.د. عبد الحميد هنداوي الطبعة الأولىٰ، مكتبة نزار مصطفي الباز مكة المكرمة، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٢٦. شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمىٰ إكمال المعلم بفوائد مسلم، للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسىٰ بن عياض الحيصبي، ت ٥٤٤هـ.تحقيق: الدكتور يحيىٰ إسماعيل، الطبعة الأولىٰ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة. ١٤١٩ هـ ١٩٩٨م.

٢٧. الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ القاضي عياض، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: علىٰ كوشك، الطبعة الأولىٰ، جائزة دبي الدولية ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

٢٨. صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة أولىٰ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ ١٩٩١م.

٢٩. صفوة صحيح البخاري للشيخ عبد الجليل عيسىٰ، تقديم: أ. د جلال الدين إسماعيل عجوة، دراسة وتحقيق د. علىٰ عبد العظيم علىٰ، والشيخ صلاح عبد الفتاح محمد، إشراف أ.د عباس شومان. الأزهر الشريف هيئة كبار العلماء ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م.

٣٠. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني أ.د. بسيوني عبد الفتاح فيود. الطبعة الثالثة. مؤسسة المختار القاهرة ١٤٣١هـ٢٠١٠م.

٣١. عمدة القارىٰ شرح صحيح البخاري للشيخ الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه، شركة من العلماء بمساعدة إدارة المطابع المنيرية.

٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.

٣٣. الكتاب. كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠ هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٣٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.

٣٥. كشف المشكل من حديث الصحيحين تأليف جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علىٰ بن محمد الجوزي، تحقيق د. علىٰ حسين البواب. دار الوطن، الرياض.

٣٦. لسان العرب لابن منظور، ط دار المعارف.

٣٧. مجمع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٣٩٨هـ.

٣٨. المعجم الوجيز ، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٣٩. معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

٤٠. مفتاح العلوم: لأبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي المتوفىٰ ٦٢٦هـ تحقيق: أ.د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولىٰ، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٤١. المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ للغزالي تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، طبعة أولىٰ، طبعة الجفان والجابي، قبرص ١٤٠٧هـ.

٤٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي. الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي. بيروت. ١٣٩٢هـ.

٤٣. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لفخر الدين الرازي (محمد بن عمر) المتوفىٰ ٦٠٦هـ تحقيق: د. نصر الله أوغلي، طبعة أولىٰ، دار صادر، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٦٥٦
التمهيد: المعنىٰ اللغوي للحقوق الأربعة	٦٥٩
المبحث الأول: حق الإيمان بالنبي ـ ﷺ ـ	٦٦٨
المبحث الثاني: حق الطاعة للنبي والحذر من مخالفته ـ ﷺ ـ	٦٨٢
المبحث الثالث: حق المحبة للنبي ـ ﷺ ـ وثوابها	٧٠١
المبحث الرابع: حق التوقير للنبي وتعظيمه والصلاة عليه ﷺ.	٧٢٣
الخاتمة	٧٣٦
المصادر والمراجع	٧٤٠
فهرس الموضوعات	٧٤٥